أثر حركة التاء
في العربية بين النحويين والقراء

إعداد

د / أحمد طه أحمد الغلال

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

والأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالقاهرة

حركة التاء في العربية بين النحويين والقراء

أحمد طه أحمد الفلال

قسم اللغويات – كلية اللغة العربية– جامعة الأزهر – القاهرة – مصر ؛ والأستاذ المشارك بجامعة أم القرى.

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بعض ماحوته حركة التاء من أسرار، ولطيف أحكام منطلقا من أصل الوضع في الدلالة المعجمية الذي أثر بوضوح في عملها والمعنى الوظيفي لها في ظل سياقاتها بخصائصها اللهجية الواردة في القراءات القرآنية ولغات العرب، مجتهدا في رصد الخصوصيات التركيبية لحركتها وكيفية معالجتهم لها وضوابط قبولها أو التحفظ عليها أو إطلاق أحكام على بعض مروياتها في قراءاتها المتواترة أوالشاذة، كما كشف البحث عن جانب كبير من منهج النحاة في توجيه حركة التاء مع ماخالف القياس وكيف عللوا لذلك مستندين على ظواهر لغوية تقرب ماخرج على القياس إلى القياس بوجه من الوجوه، وكيف كانت القراءات القرآنية بما تحمل من خصائص لهجية دافعا للعلماء للبحث عن الأسباب اللغوية والنحوية التي كشفت عن ظاهرة التعدد الإعرابي ببحثهم في كلام العرب عما يؤيد هذه القراءات بلهجاتها المختلفة في ظل ضوابطها إضافة إلى تبيان أثر الدرس النحوي في الوقف على التاء عند القراء.

الكلمات المفتاحية: اختلاف المنهج، حركة التاء، أصل الوضع، اللهجات، القراءات الواردة في نحو: لات، وهيهات، ياأبت، وهيت لك، حركة التاء والمعنى، تعدد الأوجه الإعرابية، الوقف على التاء.

Al-Ta'a movement in Arabic between grammarians and readers

Ahmed Taha Ahmed Al-Falal

Department of Linguistics, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo, Egypt, and Associate Professor at Um al-Qura University.

Abstract:

This research aims to reveal some of the secrets of the *Al-Ta'a* movement, and gentle rules based on the origin of the lexical connotation and the origin of the use, which clearly affected its function and the functional meaning of it in view of its contexts with its dialectical characteristics mentioned in the Qur'anic readings and Arab languages, striving to monitor the syntactic specifics of its movement and how they dealt with it and the controls of accepting or conserving it or making judgments on some of its narratives in its frequent or anomalous readings, also, the research revealed a large part of the grammar method in directing the movement of *Ta'a* with other than the measurement and how they explained it, based on linguistic phenomena that approximate what comes out of the measurement to the analogy with one of the aspects, and how the Qur'anic readings, with their accentuating characteristics, motivated the scholars to search for linguistic and grammatical reasons that revealed the phenomenon of Arab diversity in their research in Arab speech on what supports these readings with their different dialects under their controls, in addition to showing the effect of the grammatical lesson on the stopping on the *Ta'a* for readers.

Keywords: Difference of curriculum, *Ta'a* movement, the origin of the situation, dialects, readings contained in the following: (*Latt, Hayhat, Ya Abti, and Hayt lak*), the movement and meaning of the Ta'a, the multiplicity of syntactic aspects, stopping on the *Ta'a* for readers.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفي، وصلاة وسلام على النبي المصطفي، وبعد:

فقد اتسع استعمال التاء لدى النحويين والقراء، وتنوعت أسماؤها ومعانيها، وتباينت في عملها وعدمه ، فهي عاملة وغير عاملة و تعمل اسما كما تعمل حرفا،كما تعددت دلالاتها إذ هي التي غيرت الدلالة من التذكير إلى التأنيث، إضافة إلى أنها جاءت حرفا من حروف الزيادة، يضفي على الألفاظ ظلالا من المعاني والدلالات الجديدة.

وقد حظيت التاء في العربية باهتمام الدارسين بها صوتا وبنية وتركيبا[1] على حين ظلت حركتها غُفلا عن الدراسة المستقلة، وأهم هذه الدراسات ما كتبته الباحثة: ابتسام غباشي في بحثها للتخصص (التاءات في كتب النحاة) وقد جمعت كل ماتيسر له جمعه من أحكام التاء من الناحية الصوتية مخرجا وصفة ومن الناحية الصرفية إبدالا وإدغاما

---

[1]) فمن أبدع من كتب فيها من القدماء ابن جني في سر صناعة الإعراب ج١ :١٤٥/١٧٠والصيمري في التبصرة والتذكرة ج٢/ ٦١٤،٨٤٨ .وقد جمعت الباحثة : ابتسام محمد غباشي كل ماتيسر لها جمعه من أحكام التاء الصوتية الصرفية والتركيبية في رسالتها للتخصص (الماجستير) بعنوان : التاءات في كتب النحاة وقد نوقشت عام ١٤٠٥هـ.وقد جعلت الباحثة –على مابذلته من جهد– من الجمع والترتيب هدفا يسعى إليه، وهي دراسة أولية صالحة لتأسيس دراسات أخرى عليها حتى يكون البحث على بصيرة في تحديد موقعه مما تناولته أقلام أخري منهجا وفكرا على السواء، وبحث بعنوان التاء في العربية (خصائصها الصوتية ومخرجها) للباحث : باسل بزراوي، منشور على شبكة المعلومات الدولية.

وهجاء ووقفا وتصغيرا ونسبا ومن الناحية التركيبية والنحوية من حيث الحرفية والاسمية ذاكرة معانيها المتعددة في كتب النحاة و قدجعلت من الجمع والترتيب هدفا يسعي إليه وقد أجادت فيه وفق مااختطه لنفسها، ولما كانت الدراسات السابقة لم تكد تذكر شيئا عن أثر حركة التاء، فقد انطلق بحثي من أثر حركة التاء في العربية عند النحويين في ضوء القراءات القرآنية، إذ كان لحركتها أثر في تلوُّن معانيها، فحملت دقيق الإشارات، وكمين الأسرار، ولطيف الأحكام ليقف دونه البيان دالّا على نهاية البلاغة وكمال الإعجاز، إذ تشكل حركة التاء بالانتقال من حركة إلى أخرى دلالات أدت إلى اتساع المعنى، كما مثَّل التناوب بينها وبين غيرها ميدانا فسيحا لظواهر الحمل المختلفة، ولم يقف البحث عند محاولة الوقوف على منهج النحاة في رصد الخصوصيات التركيبية لحركة التاء وكيفية معالجتهم لها وضوابط قبولها أو التحفظ عليها أو إطلاق أحكام على بعض مروياتها في قراءاتها المتواترة أوالشاذة، وإنما كشف البحث عن جانب كبير من منهج النحاة في توجيه حركة التاء مع ما خالف القياس وكيف عللوا لذلك مستندين على ظواهر لغوية تقرب ما خرج على القياس إلى القياس بوجه من الوجوه مثل ظواهر التشبيه والحمل على المعنى و التوهم وتركب اللغات واختلاف اللهجات والتعويل على قصد المتكلم وغير ذلك، وكيف كانت القراءات القرآنية بما تحمل من خصائص لهجية دافعا للعلماء من منطلق عقدي للبحث عن الأسباب اللغوية والنحوية التي باتت إحدى الروافد المهمة التي كشفت عن ظاهرة التعدد الإعرابي ببحثهم في كلام العرب عما يؤيد هذه القراءات بلهجاتها المختلفة في ظل ضوابطها، كما كشف البحث عن أثر الدرس النحوي في الوقف على التاء عند القراء.

وقد اختص هذا البحث بخصائص منها:

١) رصد خصوصية حركة التاء وصلتها باللهجات العربية منسوبة ما أمكن.

٢) دراسة بعض الكلمات القرآنية المشتملة على قراءات قرآنية لحركة التاء فيها تنوع دلالي والتعرف على منهج النحاة في التعامل معها، وبخاصة ما خرج منها عن معاييرهم وقواعدهم.

٣) تبيان أثر تعدد القراءة التي يعضدها التنوع اللهجي في بناء القاعدة النحوية وأثر الدرس النحوي في الوقف عليها.

وقد اقتضى منهج البحث أن يكون من مقدمة وتمهيد وفصول ثلاثة وخاتمة.

أما المقدمة فذكرت فيها الموضوع وأهميته ومنطلقاته وخصائصه.

وأما التمهيد فقد جاء في مبحثين : الأول : تحدثت فيه عن التاءات عند النحاة في لمحات عوابر ونظرات خواطف حتى لا يكون دخولي لموضوع البحث اقتحاما ، والثاني : جاء بعنوان اختلاف المنهج ونظرة سواء، وقد خصصته للاختلاف المنهجي بين النحويين والقراء من جانب وبين الكوفيين والبصريين في نظرتهم لبعض الكلمات من جانب آخر.

وأما الفصول الثلاثة فقد جاء الفصل الأول بعنوان: مسائل الخلاف التي بنيت على التاء وحركتها، وفيه درست بعض كلمات القرآن، بعضها مشتمل على قراءات متعددة وبعضها غير مشتمل وإنما ورد بقراءة حفص وهي قراءة قرآنية مثل تاء (هيهات، ولات، وتاء يا أبت، وهيت، والتاء في أنت وتلك، وتاء كلتا وبنت وأخت،وكان منهجي يهدف إلى تبيان أثر حركتها وكيف كان للحركة أثر في العمل أو عدمه وفي الإعراب أوالبناء وفي الصرف أوعدمه أو تغير وظيفة الكلمة من الاسمية إلى

الفعلية أو غير ذلك، وهذا اقتضي أن ينطلق البحث من الكشف عن حقيقة التاء أصلا واستعمالا ودورها الوظيفي في الكلمة و القراءات الواردة وتوجيهها .

والفصل الثاني: في أثر حركة التاء في المعنى، وفيه أبنت عما تحمله اختلاف حركة التاء من معان ودلالات، وهذا المبحث وإن غلبت عليه كثرة النقول، فإن هذه النقول لم تأت عفو الخاطر، وإنما بعد استقراء مديد في كتب توجيه القراءات ومعاني القرآن منتخبا منها أدلهّا على المراد مما أغنتني في كثير من المواضع عن تأكيد الفكرة وإعادة المعاني .

والفصل الثالث :كشف عن أثر الدرس النحوي في الوقف على التاء عند القراء ، وتقوم فلسفة هذا المبحث على ربط الأمور بمقاصدها انطلاقا من أن علم النحو من علوم الوسائل وما نشأ إلا خدمة للنص القرآني، وقد فطن سيبويه إلى هذا المعنى حين عقد بابا للوقف في أواخر الكلم المتحركة في الوصل([1]) فهل هناك من أثر للدرس النحوي من مراعاة الاشتقاق والقياس واختلاف اللهجات في الوقف على التاء في ضوء ماستقر أنه لم يثبت في كل وقف رِواية، بما يدل على أن القراء كانوا يختارون وقوفهم على هدى تصورهم لمقاييس العربية ؟ علما بأني رجعت إلى مشايخ الإقراء المسندين بالقراءات العشر قبل تقرير الأحكام .

أما الخاتمة فلذكر أهم النتائج .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ، والحمد لله رب العالمين

كتبه من بلد الله الحرام د/ أحمد طه الفلال

---

[1]) الكتاب لسيبويه ١٦٦/٤

تمهيد

وفيه مبحثان

المبحث الأول :التاءات عند النحاة

للنحويين عن التاءات حديث مستفيض من حيث عملها ونوعها ودلالتها ومعانيها وأحكامها الصوتية والصرفية والتركيبية، وحتى لا يكون حديثي اقتحاما على أثر حركة التاء في العربية كانت هذه التوطئة الموجزة.

التاءات نوعان: حرفية واسمية ، فالتاءات الحرفية هي تاء القسم وتاء الخطاب وتاء المضارعة وتاء العوض وتاء التفريق وتاء التعريب وتاء الجمع وتاء الجمع وتاء النسب وتاء الإلحاق والتاء الأصلية والتاء الزائدة وتاء المبالغة، وأما التاءات الاسمية فمنحصرة في تاء الضمير باتفاق وتا الإشارية والتاء في أنت وتلك على خلاف بين النحويين .

والتّاء المفردة: محركة في أوائل الأسماء ومحركة في أواخرها ومحركة في أواخر الأفعال ومسكنة في أواخرها فالمحركة في أوائل الأسماء حرف جر معناه القسم وتختص بالتعجب وباسم الله تعالى والمحركة في أواخرها حرف خطاب نحو أنتَ وأنتِ والمحركة في أواخر الأفعال ضمير نحو قمت وقمت[1].

وأقسامها ثلاثة: تاء القسم، وتاء التأنيث، وتاء الخطاب. وما سوى هذه الأقسام فليس من حروف المعاني، كتاء المضارعة .

[1]) مغني اللبيب لابن هشام ١٣٦/١

فأما تاء القسم: فهي من حروف الجر، ولا تدخل إلا على اسم الله نحو {تالله تفتأ تذكر يوسف}(سورة يوسف: ٨٥) . وحكى الأخفش دخولها على الرب؛ قالوا: ترب الكعبة. وخص بعضهم دخولها على الرب، بأن يضاف إلى الكعبة. وليس كذلك، لأنه قد جاء عنهم: تربي. وحكى بعضهم أنهم قالوا: تالرحمن، وتحياتك. وذلك شاذ.

وأما تاء التأنيث: فهي حرف يلحق الفعل، دلالة على تأنيث فاعله، لزوماً في مواضع، وجوازاً في مواضع، على تفصيل مذكور في كتب النحو. ولا تلحق إلا الماضي، وتتصل به متصرفاً، وغير متصرف...

قال بعض النحويين: وقد لحقت تاء التأنيث ثلاثة أحرف وهي: ربت، وثمت، ولات. قلت: ولها رابع، وهو لعلت .

وأما تاء التأنيث التي تلحق الاسم فلا تعد من حروف المعاني. ومذهب البصريين فيها أنها تاء في الأصل، والهاء في الوقف بدل التاء، ومذهب الكوفيين عكس ذلك..

وأما تاء الخطاب، فهي التاء اللاحقة للضمير المرفوع المنفصل، نحو: أنت وأنت. فالتاء في ذلك حرف خطاب وأن هو الضمير. هذا مذهب الجمهور. وعلى هذا لو سميت ب أنت حكيته، لأنه مركب من حرف واسم. وذهب الفراء إلى أن المجموع هو الضمير. وذهب ابن كيسان إلى أن التاء هي الاسم، وهي التي في فعلت، لكنها كثرت بـ(أن). ([1])

[1]) الجنى الداني للمرادي ٥٦/٥٨

والتاءات عند الرماني سبعة أنواع وَهِي: ١ – تَاء الْجمع نَحْو مسلمات وصالحات فِي جمع الْمُؤَنَّث .

٢ – وتاء التَّأْنِيث فِي الْوَاحِد تكون تَاء فِي الْوَصْل وهاء فِي الْوَقْف نَحْو قَوْله تَعَالَى {وَإِن تعدوا نعْمَة الله لَا تحصوها}(سورة إبراهيم ٣٤)

٣ – وَالتَّاء الْأَصْلِيَّة نَحْو بَيت وأبيات وَتقول رَأَيْت أبياتك لِأَنَّهَا أَصْلِيَّة .

٤ – وَالتَّاء الزَّائِدَة فِي الْوَاحِد نَحْو عنكبوت ورحموت ورهبوت لِأَنَّك تَقول عنكباء ورحم ورهب فتشف مِنْهُ مَا تذْهب فِيهِ الزِّيَادَة، وَهَذِه التَّاء هِيَ حرف الْإِعْرَاب تجْرِي مجْرى الْحَرْف الْأَصْلِيّ فِي تعاقب حركات الْإِعْرَاب عَلَيْهَا

٥ – وتاء الْعِوَض نَحْو تَاء بنت وَأُخْت .

٦– وتاء الْبَدَل مثل سِتّ أَصْلهَا سدس يدلك عَلَيْهِ الْجمع أَسْدَاس وَإِنَّمَا قلبت تَاء لِأَنَّهَا من مخرجها تقلب مِنْهَا السِّين لمقاربتها ثمَّ تُدْغَم التَّاء الأولى فِي الْأُخْرَى فَتَصِير سِتّ

٧ – وَالتَّاء الملحقة نَحْو عفريت وَزنه فعليت مَأْخُوذ من العفر وَهُوَ مُلْحق ب شمليل وقنديل ([١])

وقد كفانا مؤونة الحديث عن هذه التاءات وأنواعها رسالةالباحثة :ابتسام غباشي (التاءات في كتب النحاة) ([٢]) حتى لايكون الحديث معادا مكرورا .

---

[١]) منازل الحروف للرماني ٣٤/٣٢

[٢]) ينظر : تفصيل ذلك في : التاءات في كتب النحاة (رسالة ماجستير) للباحثة / ابتسام غباشي من ص ٥٠٢/٢٤٢، جامعة أم القرى ١٤٠٤/١٤٠٥هـ.

المبحث الثاني: اختلاف المنهج ونظرة سواء

يختلف منهج القراء عن منهج النحويين، وإهمال هذا الاختلاف قد يؤدي إلى خلط كبير في فهم موقف كل منهما، وهذا يقتضي توضيح الفرق بينهما.

فمنهج القراء يقوم على أمرين أولهما النقل والرواية، وثانيهما الأداء والعرض، واعتماد القراءِ الروايةَ أصلَ الأصول الذي قد يستغنى به عن غيره جعلهم لا يهتمون بالقياس اهتمام النحويين به ، ومن ثم كان من ضوابط القراءة " أن أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الروايةلم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها "[1]، ويقول النحاس: " كتاب الله عز وجل لا يحمل على المقاييس، وإنما يحمل بما تؤديه الجماعة." [2]

أما منهج النحاة فهو وإن كان قائما على السماع فقد كان للقياس دوره الكبير فيه، فهو الوسيلة الوحيدة التي يتخذها النحوي لاستنباط حكم يجعل من الظواهر الصوتية أو التركيبية الشائعة المطردة قاعدة ينبغي اتباعها والبعد عما خالفها من النصوص مهما كان مصدر النص واعتباره إما لهجة وإما تركيبا شاذا، ومن ثم كان قولهم:

---

١)) النشر لابن الجزرى ١/١٠/١١ والإتقان للسيوطى ٢٣٧/١

٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣٦٥/٤ ، ٣٦٦ .

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع[١]

فهو نظام مبني على الشائع والأكثر، وقد شاع أن النحويين يحكمون على ما خرج عن هذا النظام بالرفض أو التضعيف أو التشذيذ، وإن كان المحكوم عليه قراءة قرآنية، ولكن الحقيقة أن هذا ليس منهجا متلئبا لهم، والأمانة العلمية تقتضي أن أقرر أن النحويين قد بذلوا غاية فكرهم في توجيه كل قراءة متواترة كانت أو شاذة، وإن خالفت مقاييسهم، إيمانا منهم بأن الرواية هي أصل الأصول ومفتاح الوصول، وأن بعض الأحكام التي أطلقوها ودار حولها كثير من الجدل لا تدل في حقيقة الأمر إلا على اختيار القارئ منهم، أو أن هذه الرواية لم تصله أصلا قبل تسبيع السبعة، بل الثابت أن لهم منهجا في تأويل ما خرج على القياس منافيا لما شاع عنهم إن كانت القراءة شاذة فضلا عن كونها متواترة .

وكما اختلف منهج النحويين عن منهج القراء كذلك اختلف منهج البصريين والكوفيين في الكلمات التي تحمل مسحة تاريخية، إذ لاشك في أن النظرة التاريخية تساعد على فهم اللغة الفصحى ولهجاتها، إذ بها يمكن أن نفسر أشياء متعددة، وأن يفهم حقائق كثيرة تتصل بالمنهج النحوي بعيدا عن التأويل والتعليل، وقد اختلف منهج النحويين واللغويين قديما وحديثا في تناولهم واعتدادهم بما حدث للكلمة العربية من تركيب نتاج التطور اللغوي الذي يحمل مسحة تاريخية ، حيث نرى النحاة يشيرون إلى طورين أو أكثر للظاهرة اللغوية النحوية الواحدة ، يعدون الطور الأول أصلا للطور الثاني الناتج عنه تاريخيا، وهو ما يقصد بالأصل التاريخي[٢]

---

[١])من شعر منسوب للكسائى ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ١٧٤٧/٤ ، ١٧٤٨

[٢]) ينظر الأصل والفرع فى التركيب الإفرادى د/جودة مبروك محمد ص٥٦

وكان مذهب جمهور النحاة قديما، وبخاصة البصريون، غير معتد غالبا بتلك القضية ، وكأنه يرى عدم جدوى البحث عن أصول الكلمات خاصة أن النتائج لا تمثل إلا افتراضات واحتمالات ، ولا يستطيع أحد أن يدرك يقينا ما وقع من أمر اللغة من تطور في الزمن الغابر ، ولا وحى ولا تنزيل ينبئ عنه ، ولأن النحاة قعدوا العربية بصفتها لغة ثابتة كما وردت في مثالها الأعلى القرآن الكريم وما جاء من كلام العرب الفصيح، ولكن " ربما سجلوا الأصل القديم السابق في استعمال عنصر نحوي ، وسجلوا الواقع الجديد اللاحق في استعماله، وذلك من أجل خدمة المنهج التعليلي الذي أخذوا أنفسهم به "[١]

وذهب الكوفيون في كثير من تحليل بعض الكلمات إلى أنها مكونة من أجزاء تركيبية يعتقدون أنها الأصل أو الفرع ، ولقد حاولوا أن يعمدوا إلى المشابهة اللفظية قدر ما أتيح لهم من إدراك ببعض المقارنات بين صور الألفاظ ، وخرجوا بحتمية وجود التركيب في بعض الكلمات التي ظن الجمهور أنه لا تركيب فيها، وقد شكل هذا الاختلاف المنهجي خلافا نحويا بين مدرستي البصرة والكوفة سجل كثيرا منه صاحب الإنصاف [٢].

---

[١]) فى تاريخ العربية د/ نهاد الموسى ص٢٠٢ وينظر التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينيه د/رمضان عبد التواب ص٩٥

[٢]) ينظر على سبيل المثال الإنصاف المسألة (٢٦) القول فى لام " لعل " زائدة هي أو أصلية ؟ والمسألة (٤٠) كم مركبة أو مفردة ؟ و القول فى إضافة العدد المركب إلى مثله ، القول فى علة بناء الآن ص ٧٩ ، والسين مقتطعة من سوف أو أصل برأيه ص ١٨٠ ، والحروف التى وضع الاسم عليها ذا والذى .. وغير ذلك

وعلى الرغم من أن التطور التاريخي للظاهرة اللغوية لم يكن من همة البحث إلا أنه كاد يمس كل مسألة من مسائل الدراسة، وللنحاة في ذلك أصول وضوابط أشبه بالقوانين الكلية منها:

أن المفرد أصل للمركب، والمفرد قبل المركب، وحالة التركيب مؤخرة عن حالة الإفراد.[١]، والتركيب ليس بأصل في الكلام، والحمل على غيره أولى ما وجد عنه مندوحة [٢]، والتركيب يزيل الأشياء عن أصولها، والتركيب ثقل، والتركيب ثابت في الأجناس دون الموصولات. الخ.[٣]

في ضوء هذا الاختلاف المنهجي نشرع في دراسة بعض مسائل الخلاف التي بُنِيت في جانب كبير منها على حركة التاء بين النحويين والقراء.

---

[١]) اللباب للعكبرى ٢٢٤/١ ،٥٠٥ ، والتخمير للخوارزمى ١/ ٢٠٣ ، وشرح اللمحة لابن هشام١٥٢/١، والهمع ٢٨٩/٣

[٢]) المرتجل لابن الخشاب ص ٢٧٦، ومغني اللبيب٤٣٢، وشرح اللمحة لابن هشام١٥٢/١.

[٣]) الكليات للكفوى ص ٤٨٢ والمحكم لابن سيده ٢٨،٢٩/١٢، ومغني اللبيب ١٢٧،٢٤٦،٣٩٦.

الفصل الأول

مسائل الخلاف التي بُنِيت على حركة التاء بين النحويين والقراء

يهدف هذا الفصل إلى تبيان أثر حركة التاء في بعض الكلمات القرآنية، وكيف يكون لها أثر في العمل أو عدمه، وفي الإعراب أو البناء، وفي الصرف أوعدمه، أو تغير وظيفة الكلمة من الاسمية إلى الفعلية أو غير ذلك، وهذا اقتضي أن ينطلق البحث من الكشف عن حقيقة التاء أصلا واستعمالا ودورها الوظيفي في الكلمة و القراءات الواردة وتوجيهها، ومن ذلك ما يلي:

أولا: (هيهات)

اختلف النحويون واللغويون في ماهية (هيهات) وأثر حركة التاء فيها من حيث الاشتقاقُ والعمل واللهجات والقراءات القرآنية الواردة فيها والوقف عليها، فقد تكون اسم فعل أو مصدرا نائبا مناب فعله أو اسما أو ظرفا، وقد تكون مصروفة أو غير مصروفة، كما تكون مبنية، وتنون ولا تنون، وقد يكون تنوينها تنوين تنكير، كما قد يكون تنوين تمكين، وتتعاقب عليها الحركات الثلاث الفتحة والكسرة والضمة منونة وغير منونة، فهل في البحث عن أصل التاء وحركتها من حيث كونها أصلا أو منقلبة عن أصل أو مزيدة أوللتأنيث أوغير ذلك أثر في الحكم النحوي وتوجيه القراءات الواردة المتواترة والشاذة ؟، هذا ما تكشف عنه الصفحات القوادم:

اشتقاقها:

ذهب بعض أهل اللغة إلى أن هيهات من ذوات الأربعة المضعفة من الياء من باب حاحيت وأصلُها بوزن (القلقلة) و(الحقحقة)، فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت (هيهاة) كالسلقاة، وياء هيهية أصل فلما جمعت كان قياسها إذا جمعت أن تقلب اللام ياء، فيقال: هيهيات كشوشيات وضوضيات، إلا أنهم حذفوا اللام لأنها في آخر اسم غير متمكن، ليخالف آخرها آخر الأسماء المتمكنة، نحو: رَحَيَان ومَوْلَيَان، فعلى هذا قد يمكن أن يقال: إن الألف والتاء في هيهات عوض من لام الفعل في هيهاةٍ؛ لأن هذا ينبغي أن يكون اسمًا صيغ للجمع بمنزلة الذين وهؤلاء[1].

وفي لسان العرب [2] أَن التاء من هيهات ليست بأَصلية وأن أَصلها هاء، قال أَبو عمرو بن العلاء إذا وصَلْتَ هَيْهاتَ فَدَعِ التاء على حالها، وإذا وَقَفْتَ فقل هَيْهات هَيْهاه، قال: وقال سيبويه من كسر التاء فقال هَيْهاتِ هَيْهاتِ فهي بمنزلة عِرْقاتٍ، تقول اسْتأْصلَ الله عِرْقاتِهم، فمن كسر التاء جعلها جمعًا واحدَتُها عِرْقَةٌ وواحدَةُ هَيْهاتِ على ذلك اللفظ هَيْهَةٌ، ومن نصب التاء جعلها كلمة واحدة قال: ويقال هَيْهاتَ ما قُلْتَ وهَيْهاتَ لِما قُلْتَ، فمَنْ أَدخل اللام فمعناه البُعْدُ.

عملها:

اختلف النحويون في عمل (هيهات) بناء على اختلافهم في ماهيتها إلى آراء فتعمل في موضعين ولا تعمل في آخرين، تعمل إذا كانت اسم فعل أو

---

[1])) الخصائص لابن جني بتصرف ٣٠٠/٢

[2])) ينظر لسان العرب لابن منظور (هيه).

مصدرا من المصادر المتروك ذكر أفعالها، ولا تعمل إذا كانت اسما أو ظرفا:

أولا: رأى الرضي أن هيهات من المصادر النائبة عن أفعالها، وأنها مبنية غير مصروفة، ثم إنه لما رأى النحاة يقدرون لما تُرك إظهار أفعاله فعلا مناسبا من اللفظ أو المعنى، ولا يقدرون للمصادر التي نص النحاة على أنها لا أفعال لها، حاول أن يلتمس فرقا بين المصادر التي لا أفعال لها، وبين الأفعال التي ترك إظهار أفعالها على أساس التوغل في حذف الفعل أو عدمه [1]

وأرى أن محاولة هذا التقسيم لم تستقم له لما يأتي:

١-لأن مسألة التوغل أو عدمه من المسائل النسبية التي لا يمكن القياس عليها أو الاحتكام إليها.

٢-لأن تعويله على نية المتكلم أو قصده لا يمكن أن يكون على إطلاقه، بل هو مرتبط بما هو معلوم من القول، وبإمكان استخراج المحذوف مما قيل، كما أنه مرتبط كذلك بما يجري على ألسنة الناس مما عرف في معهود خطابها، والناحية الوصفية للغة تسوي بينهما تسوية تامة؛ إذ من قدّر فلاستقامة الصنعة النحوية وفق نظرية العامل، ومن لم يقدّر فلأنه لم ينطق به مستعملا.

ثانيا: ذهب بعض اللغويين إلى أن (هَيْهَات) لا تعمل شيئا وهي عندهم ظرف غير مُتَمَكن لإبهامها، لِأَنَّهَا بمنزل الْأَصْوَات، وقال ابن جني: "كان أبو علي يقول في هيهات أنا أفتي مرة بكونها اسما سمّي به

[1]) شرح الرضى علي الكافية ١/٢٧٧،٢٧٦.

الفعل كصه ومه، وأفتي مرة بكونها ظرفا على قدر مـــا يحضـــرني فـــي الحال، قال: وقال مرة أخرى إنها وإن كانت ظرفا فغير ممتنع أن تكـــون مع ذلك اسما سمّي به الفعل كعندك ودونك ".[1].

ثالثا: ذهب بعض العلماء إلى أن هيهات اسم، وهي عندهم من مضعَّف الياء بمنزلة المرمرة والقرقرة، واستدلوا على اسميتها بوجود الجمع فيها والجمع مما يختص بالاسم، ومنها وجود التأنيث في هيهاة وهيهات وأولاة والتأنيث بالهاء والألف من خواص الأسماء، ومنها الإضافة، وعلى هذا جرى توجيه قراءة من قرأ تاء (هيهات) بالتنوين على اختلاف في نوع التنوين ومعناه.

والمشهورُ في: (هَيْهات) من قراءات فتح التاءِ من غيرِ تنوينٍ، بُني لوقوعِه موقعَ المبنيِّ أو لشِبْهِه بالحرفِ. وبها قرأ العامَّةُ وهي لغة الحجازيين. و" هَيْهاتًا "بالفتح والتنوين، وبها قرأ أبو عمرٍو في روايةِ هارون عنه. ونسبها ابن عطية لخالد بن إلياس. و"هَيْهاتٌ "بالضمِّ والتنوين وبها قرأ الأحمر وأبو حيوة. وبالضم من غير تنوين، وتروى عن أبي حيوةَ أيضًا، فعنه فيها وجهان، ووافقه أبو السَّمَّال في الأولى دونَ الثانية، و"هَيْهاتٍ" بالكسر والتنوين، وبها قرأ عيسى وخالد بن إلياس، وبالكسرِ من غير تنوين، وهي قرءاةُ أبي جعفرٍ وشَيْبة، وتروى عن عيسى أيضًا، وهي لغة تميم وأسد. وهَيْهاتْ بإسكانِ التاء، وبها قرأ عيسى أيضاً وخارجة عن أبي عمرو والأعرج. وهَيْهاهْ» بالهاء آخرًا وصلًا ووَقْفًا. و «أَيْهاتَ» بإبدال

[1])) ينظر الخصائص لابن جني ٢٢٨/١و لسان العرب هـــ.ي.هـــ)

الهاء همزة مع فتح التاء، وبهاتين قرأ بعضُ القرَّاء فيما نقل أبو البقاء. فهذه تسعُ لغاتٍ قد قُرِئ بهنّ.[1]

الوقف على تاء (هيهات)

لا خلاف بين القراء السبعة في القراءة بالتاء المفتوحة حال الوصل، أما في الوقف فقد اختلف القراءُ في الوقفِ عليها: فمنهم مَنْ اتَّبع الرسمَ فَوَقَفَ بالهاءِ وهما الكسائيُّ والبزيُّ عن ابن كثير. ومنهم مَنْ وَقَفَ بالتاءِ، وهم الباقونَ. وكان ينبغي أَنْ يكونَ الأكثرُ على الوقفِ بالهاءِ لوجهين، أحدُهما: موافقةُ الرسمِ، والثاني: أنهم قالوا: المفتوح اسمٌ مفردٌ أصله هَيْهَيَة كزَلْزَلة وقَلْقَلَة من مضاعفِ الرُّباعي، وقد تقدَّم أنَّ المفردَ يُوقف على تاء تأنيثِه بالهاء.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِي[2]: مَنْ جَعَلَهُمَا حَرْفًا وَاحِدًا لَا يُفْرَدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، وَقَفَ عَلَى الثَّانِي بِالْهَاءِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاهْ، كَمَا يَقُولُ خَمْسَ عَشْرَةَ، وَمَنْ نَوَى إِفْرَادَ أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ وَقَفَ فِيهِمَا جَمِيعًا بِالْهَاءِ وَالتَّاءِ، لِأَنَّ أصل الهاء تاء. وسألته عن هيهات اسم رجل وهيهاة، فقال: أما من قال هيهاة فهي عنده بمنزلة علقاة. والدليل على ذلك أنَّهم يقولون في السكوت: هيهاه، ومن قال هيهاتِ فهي عنده كبيضاتٍ. ونظير الفتحة في الهاء الكسرة في التاء، فإن لم يكن هيهات ولا هيهاة علمًا لشيء فهما على حالهما لا يغيرَّان عن الفتح والكسر؛ لأنهَّما بمنزلة ما ذكرنا ممَّا لم يتمكن ونظير هيهات وهيهاة في اختلاف اللغتين، قول

([1]) ينظر المحتسب لابن جني ٢/٩١/٩٢، وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٣ والدر المصون ٨/٣٣٧/٣٤١

[2])) إيضاح الوقف والابتداء للأنباري ١/٢٩٨

العرب: استأصل الله عرقاتَهم، واستأصل الله عرقاتِهم، بعضهم يجعله بمنزلة عرسٍ وعرساتٍ، كأنك قلت: عرقٌ وعرقان وعرقاتٌ. وكلًّا سمعنا من العرب(١).

وبعد، فقد ظهر أثر اختلاف حركة التاء في هيهات فَمَنْ فَتَح التاءَ **فهي عنده اسم مفرد، ومَنْ كسرها فهي عنده جمعٌ تأنيثِ كزَيْنبات وهندات،** ومَنْ قَالَ:" هَيْهاتَ" بِفَتْحِ التَّاءِ جَعَلَهُ مِثْلَ أَيْنَ وَكَيْفَ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُمَا أَدَاتَانِ مُرَكَّبَتَانِ مِثْلُ خَمْسَةَ عَشَرَ وَبَعْلَبَكَّ وَرَامَ هُرْمُزَ، وَتَقِفُ عَلَى الثَّانِي بِالْهَاءِ، كَمَا تَقُولُ: خَمْسَ عَشْرَةَ وَسَبْعَ عَشْرَةَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفَتْحُ إِتْبَاعًا لِلْأَلِفِ وَالْفَتْحَةِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَمَنْ كَسَرَهُ جَعَلَهُ مِثْلَ أَمْسِ وَهَؤُلَاءِ. وَمَنْ ضَمَّهَا فَعَلَى مِثْلِ مُنْذُ وَقَطُّ وَحَيْثُ. وَمَنْ قَرَأَ:" هَيْهَاتٍ" بِالتَّنْوِينِ فَهُوَ جَمْعٌ ذَهَبَ بِهِ إِلَى التَّنْكِيرِ، كَأَنَّهُ قَالَ بُعْدًا بُعْدًا. وَقِيلَ: خُفِضَ وَنُوِّنَ تَشْبِيهًا بِالْأَصْوَاتِ بِقَوْلِهِمْ: غَاقَ وَطَاقَ ومن ضَمَّ ونَوَّن فلأنه اسمٌ معربٌ مستقلٌ مرفوعٌ بالابتداءِ، وخبرُه لِما تُوْعَدون، أي: البعدُ لوعدكم.

ويحسن بي أن أسجل ما يلي:

١) لقصد المتكلم أثره في تصور الكلمة اشتقاقا وعملا، وظهر أثر ذلك في الوقف عليها ونوع حركتها، وهل تنون أو لا، كما ظهرت براعة النحويين في حسن توجيههم لما خالف المشهور من قواعد اللغة وقوانينها، ولهم في ذلك مقاصدهم وقياسهم الماثل في مخيلتهم، فمن لم ينون بحركاتها الثلاثة اعتقد بناءها، ولكلٍّ وجه قياس حاضر من المبنيات، ومن نون اعتقد اسميتها كما كان لحركة التنوين تنوع دلالي،

(١) الكتاب لسيبويه ٢٩٢/٣ وينظر في توجيهها معاني القرآن للزجاج ١١/٤

فمن نون بالضم عدها اسما وأعربها مبتدأ، ومن نونها بالفتح عدَّها مصدرا بمعنى بُعْدًا، وما أبدع ما ذكره الرضي حين صرح بلزوم البناء المغير عن وجهه منعا للبس، وإيصالا إلى المراد من أقرب طريق، فيقول:" وإنما لزم تصدير المغَيّر ليبني السامع ذلك الكلام من أول الأمر على ما قصد المتكلم؛ إذ لو جوزنا تأخير ذلك المغير فأخر، والواجب على السامع حمل الكلام الخالي عن المغير من أول الأمر على كون مضمونه خاليًا عن جميع المغيرات لتردد ذهنه في أن هذا التغيير راجع إلى الكلام المتقدم الذي حمله علي أنه خال عن جميع المغيرات، أو أن المتكلم يذكر بعد ذلك المغير كلاما آخر، يؤثر في ذلك المغير فيبقى في حيرة"[1].

٢) اختلاف اللهجات أو تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات وذلك نوع من ضروب الإعجاز، إذ يؤدي اختلاف حركات الحروف إلى اتساع المعنى، كما اهتدى النحاة أيضا إلى أن هناك من الظواهر ما لا ينتظم تحت تلك القوانين الجامعة فيقبلون اللهجة ويعزلونها عما اطرد في القياس، وكان القراء يختارون قراءاتهم على هَدْي تصورهم لمقاييس العربية، فمن نون بالفتح اعتقد تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة على معنى: بُعْدًا بُعْدًا، فتكون من المصادر النائبة عن أفعالها كسُحْقًا وبُعْدًا ولبيك وسعديك، ومن نونها بالضم اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة وأعربها مبتدأ وتنوينها تنوين تمكين، ومن نونها بالكسر فتنوينه تنوين تنكير، وهيهاتٍ بالكسر والتنوين لغة لتميم وأسد، وقد عزي إلى طيئ أنهم كانوا يقفون على تاء جمع المؤنث وما يماثلها بالهاء، حكى

[1]) الرضى في شرح الكافية٤/٣٣٦.

قطرب عنهم أنهم يقولون: "كيف البنون والبناه، وكيف الإخوة والأخواه"، ومنه قولهم: "دفن البناه من المكرماه، أي: دفن البنات من المكرمات.

يقول د: عبدالغفار هلال: "ونَخلص من ذلك إلى أن الفكر القياسي الذي انتهجه بعض اللغويين والنحاة القدامى لم يصل إلى المطلوب في تفسير القراءات، وأن وصلها باللهجات هو الحل العلمي المنهجي السليم"[١]

ثانيا: (**لات**)

اختلف النحويون في ماهية "لات" وكان مبعث هذا الخلاف بين القدماء والمحدثين منطلِقًا في جانب كبير منه من حقيقة التاء ودلالتها الوظيفية وخصائصها اللهجية، فتنوعت نظرة العلماء لها ما بين معجمي، وتركيبي وتاريخي ولهجي، إضافة إلى تنوع معانيها فاختلفوا فيها [٢]، فبعضهم يرى أن التاء زيدت للتأنيث وأنّها حركت تخفيفاً، أو للمبالغة، أو أنّها خَصت "لا" بأحكام منها أنّها محّضتها الدخول على الحين، كما اختلفوا في أصل وضعها هل التاء أصلية أو منقلبة عن أصل أو ملحقة أو مزيدة

---

١)) يُنظَر: القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث ص: ١٠٧، د/عبدالغفار حامد هلال

٢)) ينظر: الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ج١ /ص٥٧، الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق موسى بناي العليلي، ط١، مطبعة العاني بغداد، ج١، ص٣٩٩ ومعاني القرآن للفراء، تحقيق محمد علي النجار /ج٢، ص٣٩٧ .، شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، المختون، ط١، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م، ج١، ص٣

للتأنيث، ثم اختلفوا في عملها ومعمولها والوقف عليها والقراءات القرآنية الواردة فيها، وأثر تغير حركتها في التلون الدلالي لها على التفصيل الآتي:

أولا: أصل "لات"

اختلف النحويون في ماهية لات على أقوال أربعة:

الأول: أنها كلمة واحدة وهي فعل ماض بمعنى نقص، ومنه قوله تعالى " لايلتكم من أعمالكم شيئا" (الحجرات: آية ١٤) واشتقاقه مِنْ لاتَ يَليت، ووَلَتَ يَلِتَ، وأَلِتَ يَأْلَت، وعلى هذا فالتاء أصلية وهي لام الكلمة[١] وهي نظرة معجمية لا يؤيدها الاستعمال، ولو وقف أحد من القراء بناء على هذا التصور من الاشتقاق اختيارا فلا يسعه إلا الوقف عليها بالتاء لأنها لام الفعل .

الثاني: أنهما كلمتان،"لا" النافية والتاء لتأنيث اللفظة ؛ كما زيدت في:(ثُمَّت)، و(رُبَّت)؛ ثم اختلفوا في معنى التاء الزائدة في نحو ربت وثمت، فذهب بعضهم إلى أن رب وثم لفظان صالحان للتذكير والتأنيث فدخلت التاء للتنصيص على أن المراد الثاني، وجوز الرضي أن تكون التاء لمبالغة النفي وإنما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين[٢]، وقد ذكر العكبري " أن هذه التاء" دخلت لتأنيث الكلمة، وفُتحت ليفرق بين الحرف

---

١)) ينظر لسان العرب أ.ل.ت والارتشاف ١١١/٢والدر المصون ١٧٢/٦

٢) شرح الكافية للرضي ٢٥٩/٢، وينظر "لات" في العربية: حقيقتها والخلاف حولها بين القدماء والمحدثين لمنصور الكفاوين دراسة لغوية مقارنة" المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها،، المجلد (٧)(العدد (٤ (ذو القعدة ١٤٣٢هـ / تشرين أول ٢٠١١م

والفعل" [1]، ويَرِد على من رأى ذلك أنه لو كانت التاء للتأنيث، لما حركت بالكسر في قراءة عيسى بن عمر[2]): "ولاتِ حينِ مناص" بكسر التاء وجر النون، على لغة قليلة لقوم من العرب يخفضون بـ "لات"، وذكر أبو علي الفارسي أن تاء التأنيث لا تزاد في غير المواضع المعروفة إلا بثبت[3]، و هو يرى أن" لات" من الصيغ المركّبة، وهي مشتركة بين الأسماء والأفعال، وهذه الصيغ المشتركة بين الأسماء والأفعال غير مختصة، وكان الأصل ألا تعمل لعدم اختصاصها كما يقرر النّحاة.

الثالث: أن (لات)أصلها (ليس)، فقلبت الياء ألفا؛ لتحركها(لاس)، ثم قلبت السين تاء فصارت(لات)؛ كراهة التباسها بـ(ليت)؛ كما أبدلت في الناس والأكياس (ويضعف هذا الرأي أنه لا يستطيع أحد أن يقطع بما وقع من أمر اللغة من تطور في الزمن الغابر، ولا وحي ولا تنزيل ينبئ عنه، وعلى كل فإبدال السين تاء هي لغة قليلة، تعزى لقضاعة حكاها أبو

---

١) اللّباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين،، (ت٦١٦هـ/١٢١٩م تحقيق غازي طليمات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج١، ص١٧٩

(٢) شرح المفصل، لابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، عالم الكتب، بيروت، ج٩، ص٣٣، وانظر تفصيل القراءة في البحر المحيط،، ج٧، ص٣٨٣

٣) التكملة،لأبي علي الفارسي، الأبو علي الحسن بن أحمد،(ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، تحقيق كاظم بحر المرجان المرجان، ط١، المكتبة الوطنية، بغداد، . ص٤٥٨.

عمرو، وتُعرف ب"الوتم"، وتُنسب إلى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية. (١)

الرابع : أنها كلمة وبعض كلمة وذلك لأن (لا) نافية والتاء زائدة في أول الحين، وكذا هي في مصحف الإمام :"فَنَادَوا ولا تحين مناص"، على ما ذهب إليه أبو عبيد القاسم بن سلام وأيد ذلك بجواز الوقف على (لا)، إذ قال: والوقف عندي على هذا الحرف (ولا)، والابتداء (تحين مناص) فتكون التاء مع (حين)، ورده الزمخشري إذ قال :"وأمّا قول أبى عبيد: إنّ التاء داخلة على حين فلا وجه له، واستشهاده بأنّ التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط.(٢)).

وقد رُوِيَ فِي(لَاتَ) فَتْحُ التَّاءِ وَضَمُّهَا وَكَسْرُهَا في قوله تعالى: " كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ"(٣)

فقد قَرَأَ الْجُمْهُورُ: وَلَاتَ حِينَ، بِفَتْحِ التَّاءِ وَنَصْبِ النُّونِ، وفيها أوجه، الوجه الأول: أنها عَمِلَتْ عَمَلَ لَيْسَ، وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَاتَ الْحِينُ حِينَ فَوَاتٍ وَلَا فِرَارٍ.

---

١) الخصائص لابن جني، ج٢، ص٥٣، وسر صناعة الإعراب، ج١، ص١٥٥، وينظر غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب ل / مصطفى رمزي الأنطاكي ت/١١٠٠هـ.ج٢/٦٢٦/٦٢٧

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/٧٢

٣) سورة (ص) آية (٣)

الوجه الثاني: أنها عاملةٌ عملَ «إنَّ» يعني أنها نافيةٌ عَمِلَتْ عَمَلَ إِنَّ نَصَبَتِ الِاسْمَ وَرَفَعَتِ الْخَبَرَ، وتقديرُه: ولات حينَ مناصٍ لهم، كقولك: لا غلامَ سفرٍ لك، واسمها معربٌ لكونِه مضافاً.

الثالث: أنَّ بعدها فعلاً مقدراً ناصباً ل «حين مَناص» بعدها أي: لات أَرى حينَ مَناصٍ لهم بمعنى: لستُ أرى ذلك ومثلُه: {لاَ مَرْحَباً بِهِمْ} ولا أهلاً ولا سهلاً أي: لا أَتَوْا مَرْحباً، ولا لَقُوا أهلاً، ولا وَطِئوا سهلاً وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: وَلَاتُ حِينُ، بِضَمِّ التَّاءِ وَرَفْعِ النُّونِ [1]

وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ: وَلَاتِ حِينِ، بِكَسْرِ التَّاءِ وَجَرِّ النُّونِ،، وَتَخْرِيجُهُ مُشْكِلٌ، قال الزمخشري:" وقرئ (ولات) بكسر التاء كَجَيْرِ [2] زعم الفراء أنَّ «لات» يُجَرُّ بها، وأنشد:

ولَتَنْدَمَنَّ ولاتَ ساعةِ مَنْدَمِ[3]

وقرأ عيسى أيضاً بكسرِ التاءِ فقط، ونصبِ «حين» كالعامَّةِ. وقرأ أيضاً «ولات حينُ» بالرفعِ، و«مناصَ» بالفتح، وهذه قراءةٌ مشكلةٌ. وقد خَرَّجها أبو الفضلِ الرازيُّ في «لوامحه» على التقديمِ والتأخيرِ، وأنَّ «حين» أُجْرِي مُجْرى قبل وبعد في بنائِه على الضمِّ عند قَطْعِه عن

١) مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ١٢٩. والبحر المحيط: ٧/ ٣٨٤،

٢) ينظر الكشاف للزمخشري ٤/٣

٣) هذا عجز بيت من بحر الكامل بلا نسبة، ومطلعه : ولتعرفن خلائقا مشمولة ولَتَنْدَمَنَّ ولاتَ ساعةِ مَنْدَمِ ينظر: ارتشاف الضرب لأبي حيان ١٢١٣/٣ شرح ابن عقيل ٣٢١/١

الإِضافة بجامع ما بينه وبينهما مِن الظرفيةِ الزمانيةِ. و «مَناصَ» اسمُها مبنيٌّ على الفتح فُصِل بينَه وبينها ب «حين» المقطوعِ عن الإِضافة[1]

الوقف على تاء (لات)

وفي الوقفِ عليها مذهبان: المشهورُ عند العربِ وجماهيرِ القراءِ السبعةِ بالتاءِ المجبورةِ إتْباعاً لمرسومِ الخطِّ الشريفِ، والكسائيُّ وحدَه من السبعة بالهاء[2].

قال أبو بكر الأنباري :"كان الكسائي يقف عليها "ولاه" بالهاء، وكان أبو عمرو يكره الوقوف عليها، وكان حمزة يقف: ولات بالتاء " [3] والأولُ مذهبُ الخليلِ وسيبويه والزجاج والفراء وابن كَيْسان[4]، والثاني مذهبُ المبرد. وأغرب أبو عبيد القاسم بن سلام إذ قال: والوقف عندي على هذا الحرف (ولا)، والابتداء (تحين مناص) فتكون التاء مع (حين) لثلاث حجج: إحداهن أن تفسير ابن عباس يشهد. وذلك أنه قال: ليس حين نزو وفرار، فقد علم أن «ليس» هي أخت «لا» وبمعناها. والحجة الثانية أنا لا نجد في شيء من كلام العرب «ولا» إنما المعروفة «لا، والحجة الثالثة أن

---

(1) ينظر الدر المصون ٣٥٥/٩

2) وقف الكسائي على هذه الكلمات بالتاء قال الشاطبي

وفي اللّات مع مرضات مع ذات بهجة ... ولات رضى هيهات هاديه رفّلا

ينظر : الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ١٨٠/١

3) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، القاسم، المذكر والمؤنث، ص١٧٠.

4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد الأنصاري، (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م)، ط٢، ج١٥، ص١٤٦، وانظر: إيضاح الوقف والابتداء،، ج١، ص٢٨٨، والعكبري،، إملاء ما من به الرحمن، ج٢، ص٢٠٩، وانظر:، الجنى الداني للمرادي، ص٤٥٣

هذه التاء إنما وجدناها تلحق مع «حين» ومع «الآن» ومع «الأوان»، فيقولون: كان هذا تحين كان ذاك، وكذلك: تأوان. ويقال: اذهب تالآن فاصنع كذا وحَمَلَ العامَّةُ ما رآه على أنه ممَّا شَذَّ عن قياسِ الخَطِّ كنظائرَ له مَرَّتْ لك.

والذي بدا لي من خلال النظر في حقيقتها والاختلاف المنهجي في تناولها والقرءات القرآنية الواردة فيها وتنوع حركتها، استقر في خلدي أن (لات) أسلوب مخصوص يحمل دلالات متنوعة، أعمل النحويون فيها فكرهم لبيان وجه كل قراءة وتفسير لحركة التاء، إذ دارت وظيفتها النحوية بين الفعلية والحرفية وحركت تاؤها بالفتح والضم والكسر، فكأن الله قد خاطب كل قوم بلغتهم ولهجاتهم على لغة من بني على الضم كقبل وبعد أو الكسر كجير أو على رأي من أعملها أو أهملها، فدلالة الأسلوب بثراء التاء المعنوي، سواء أكانت التاء أصلية أو تركبت مع لا، فيه معنى يوحي بدوام الحسرة، إذ لا ينفع الندم بعد العدم، إذ لَاتَ يَخْتَصُّ اسْتِعْمَالُهَا بِالزَّمَانِ، والزَّمَانَ تَجَدُّدٌ بَعْدَ تَجَدُّدٍ وَبَعْدَ كُلِّ زَمَانٍ زَمَانٌ وَلَا يَبْقَى بَعْدَ الْفَنَاءِ حَيَاةٌ، فكأنه دال على ثلاثية الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله.

ثالثا: (هَيْتَ)

اختلف النحويون واللغويون في هذه اللفظة: هل هي عربية أو معربة؟ والجمهور على أنها عربية، ثم هي في بعض اللغات تَتَعَيَّن فعليَّتُها، وفي بعضها اسميتُها، وفي بعضها يجوز الأمران، وسيتضح ذلك من القراءات المذكورة فيها:

أولا: اشتقاقها: في العين للخليل: " وَهَيْتَ لك، أي: هَلُمَّ[١]

وقال العكبري: وَأما هيتَ فاسمٌ للفعلِ، وَمَعْنَاهُ هَيْتَ لكَ فبُني لوقوعِه موقعَ الْفِعْلِ الْمَاضِي، وقيلَ لوقوعِه موقعَ الْجُمْلَة، وقيلَ هُوَ مقدَّر بمبتدأ وَخبر أَي أَنا متهيّئةٌ لَك، وقيلَ هُوَ واقعٌ موقعَ الأمرِ، أَي ايتني[٢].

وقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هَوْتَ وَهَيْتَ بِهِ صَاحَ بِهِ فَدَعَاهُ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنِ اسْمِ الْفِعْلِ، كَمَا اشْتَقُّوا مِنَ الْجُمَلِ نَحْوَ سَبَّحَ وَحَمْدَكَ، وقرأ أَبُو جَعْفَرٍ: هَيْت بِكَسْرِ الْهَاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ وَفَتْحِ التَّاءِ، وَأَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةٍ، وَهِشَامٌ فِي رِوَايَةٍ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ ضَمُّوا التَّاءَ[٣].

وقد قرئت(هيت لك) [٤] بفتح التاء وضمها وكسرها، فقد قرأ نافع وابن ذكوان" هِيْتَ "بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة. وقرأ" هَيْتُ "بفتح الهاء وياءٍ ساكنةٍ وتاء مضمومة ابنُ كثير. وقرأ" هِئْتَ "بكسر الهاء وهمزةٍ ساكنة وتاءٍ مفتوحةٍ أو مضمومةٍ هشامٌ. وقرأ" هَيْتَ "بفتح الهاء وياءٍ ساكنةٍ وتاءٍ مفتوحةٍ الباقون، فهذه خمس قراءات في السبع. وقرأ ابن عباس وأبو

---

١) ينظر العين للخليل هيت ٨٠/٤

٢) اللباب في علل الإعراب والبناء ٩١/٢

٣) ينظر الصحاح للجوهري هيت.

٤) من سورة يوسف من آية ٢٣. فى السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٧ : قرأ ابن كثير " هيت لك " بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء، وقرأ نافع وابن عامر " هيت لك " بكسر الهاء وتسكين الياء ونصب التاء، وروى هشام بن عمار بإسناده عن ابن عامر " هئت لك " من تهيأت لك . وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائى " هيت لك، بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء . ينظر فى تخريج أوجه هذه القراءة المحتسب ٣٣٧/١ والكشاف للزمخشرى ٣١٠/٢ والتبيان للعكبرى ٧٢٨/٢ و المشكل لمكى ٣٨٣/١ ومختصر ابن خالويه ص ٦٧

الأسود والحسن وابن محيصن بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مكسورة، وحكى النحاس أنه قُرئ بكسر الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة. وقرأ ابن عباس أيضاً" هُيِيْتُ " بضم الهاء وكسر الياء بعدها ياء ساكنة ثم تاء مضمومة بزنة حُيِيْتُ. وقرأ زيد بن علي وابن أبي إسحاق بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة. فهذه أربع في الشاذ فصارت تسع قراءات. فيتعيَّن كونُها اسمَ فعل في غير قراءة ابن عباس" هُيِيْتُ "بزنة حُيِيْتُ. وفي غيرِ قراءة كسر الهاء سواءً كان ذلك بالياء أم بالهمز.

توجيه حركة التاء في(هيت)

من القراءات السابقة الواردة في الآية الكريمة يظهر أثر اختلاف حركة التاء، فمَنْ فَتَحَ التاء بناها على الفتح تخفيفا، نحو: أيْنَ وكَيْفَ، ومَنْ ضَمَّها فتشبيهاً بحيث، ومَنْ كسر فعلى أصلِ التقاء الساكنين كجَيْرِ، وفَتْحُ الهاء وكَسْرُها لغتان. و يَتَعَيَّنُ فعليَّتُها في قراءة ابن عباس" هُيِيْتُ" بزنة حُيِيْت فإنها فيها فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمفعول مسندٌ لضمير المتكلم مِنْ هَيَّأْتُ الشيءَ، ويحتمل الأمرين في قراءةِ مَنْ كسر الهاء وضمَّ التاء، فيحتملُ أن تكونَ فيه اسمَ فعلٍ بُنِيَتْ على الضمِّ كحَيْثُ، وأن تكونَ فعلاً مسنداً لضمير المتكلم مِنْ هاءَ الرجلُ يَهِيءُ كجاء يَجيء وله حينئذٍ معنيان، أحدهما: أن يكون بمعنى حَسُنَ هَيْئَةً. والثاني: أن يكونَ بمعنى تهيَّأ، يُقال: هِئْتُ، أي: حَسُنَتْ هيئتي أو تهيَّأْتُ. وجوَّز أبو البقاء أن تكون «هِئْتُ» هذه مِنْ: هاءَ يَهاء، كشاء يشاء. [1]

[1]) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٦٩٢/١، والدر المصون ٤٦٣/٦، والبحر المحيط ٢٣١/٦ وما بعدها

وقال ابن سيده: هَيْتَ: تعجب، وهَيْتُ لك وهِيْتَ لك " بضم التاء وكسرها، ورويت عن على رضى الله عنه هِيتُ لك، وروى عن ابن عباس هئت لك بالهمز وكسر الهاء من الهيئة كأنها قالت: تهيأت لك. فأما الفتح مِن هيت فلأنها بمنزلة الأصوات ليس لها فعل يتصرف منها وفتحت التاء لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبلها ياء كما فعلوا في أين، ومَن كسر التاء فلأن أصل التقاء الساكنين حركة الكسر و من قال " هيت " ضمها لأنها في معنى الغايات، كأنها قالت دعائي، فلما حذفت الإضافة وتضمنت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث وقراءة علي: " هِيتُ لك " بمنزلة " هَيْتُ لك" و الحجة فيهما واحدة[1]، فكأنها مِن شغفها به نادته بكل ما أمكنها النداء به، وحركة التاء مطواعة في التعبير عن هذا المراد مع ما فيها من همس وإغراء.

رابعا: (أبت)

اختلف النحاة في التاء وحركتها في لفظ (أبت) من قوله تعالى على لسان يوسف: (يا أَبَتِ) (يوسف: آية ٤) فذهب سيبويه إلى أنها عوض من ياء الإضافة والوقف عنده عليها بالهاء، وذهب غيره إلى أن التاء للتأنيث، ووقف الفراء عليها بالتاء، لأن الياء التي للإضافة عنده منوية وجمهور القراء على كسر التاء، وقد قرئت بالحركات الثلاث ولكل وجهه على ما يتضح بيانه:

أولا: أصلها: ذهب سيبويه إلى أن التاء من (يا أبت) عوض من ياء الإضافة، والوقف عنده عليها بالهاء، يقول سيبويه: "وسألت الخليل رحمه

---

[1]) المحكم لابن سيده ٢٧٢/٤

الله عن قولهم: يا أبَهْ، ويا أبَتِ لا تفعلْ، ويا أبتاه ويا أمتاه،: فقال " زعم الخليل رحمه الله أن هذه الهاء مثل الهاء في عمةٍ وخالة، وزعم الخليل رحمه الله أنه سمع من العرب من يقول: يا أمةُ لا تَفعلي. ويدلك على أن الهاء بمنزلة الهاء في عمة وخالة أنك تقول في الوقف: يا أمه ويا أبَهْ، كما تقول يا خالَهْ. وتقول: يا أمّتاهْ كما تقول يا خالتاهْ. وإنما يُلزمون هذه الهاء في النداء إذا أضفتَ إلى نفسك خاصة، كأنهم جعلوها عوضاً من حذف الياء، وأرادوا أن لا يخلوا بالاسم حين اجتمع فيه حذف الياء، وأنهم لا يكادون يقولون يا أباهْ ويا أماه([1])،

وقد قرئ قوله تعالى: {يا أبت}من سورة يوسف الآية الرابعة بالحركات الثلاث، فقرأ ابن عامر بفتح التاء، والباقون بكسرِها، والدليلُ على أنَّها تاءُ تأنيثٍ قَلْبُها هاءً في الوقف، وقد قرأ بذلك ابنُ كثير وابنُ عامر، والباقون وقفوا عليها بالتاء، كأنهم أَجْرَوْها مُجْرى تاء الإلحاق في بنت وأخت. قال صاحب الدر:" وأمَّا قراءة الضمِّ[2] فغريبٌ جداً، وهو يُشْبِهُ مَنْ يَبْني المنادى المضافَ لياء المتكلم على الضم كقراءةِ مَنْ قرأ {قَالَ رَبُّ احكم} [الأنبياء: ١١٢] بضم الباء".[3]

---

[1]) الكتاب لسيبويه ٢/٢١٠

٢) لم تنسب قراءة الضم إلى أحد من القراء، وقد ذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٢، وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٩٠: "وأما "يا أبة إني"؛ بالرفع؛ فلا يجوز إلا على ضعف، لأن الهاء ها هنا جعلت بدلا من ياء الإضافة".

[3]) الدر المصون ٦/٤٣١ وما بعدها

توجيه حركة التاء بالحركات الثلاث:

وأمَّا الفتحُ ففيه أربعةُ أوجه:

أحدهما: أنه اجْتَزَأَ بالفتحة عن الألف، يعني عن الألف المنقلبة عن الياء، كما اجتزأ عنها الآخر بقوله:

ولَسْتُ براجعٍ ما فاتَ منِّي ... بلَهْفَ ولا بلَيْتَ ولا لَو انِّي[1]

وكما اجتُزئ بها عنها في يا بن أمَّ، ويا بنَ عمَّ .

والثاني: أنَّه رُخِّم بحذف التاء، ثم أقحمت التاء مفتوحة، وهذا كما قال النابغة:

كِلِيْني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ... وليلٍ أقاسِيه بطيْءِ الكواكبِ[2]

بفتح تاء أُمَيْمة.

---

١) البيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٦٣، ١٧٩، والإنصاف ١/ ٣٩٠، وأوضح المسالك ٤/ ٣٧، وخزانة الأدب ١/ ١٣١، والخصائص ٣/ ١٣٥، ورصف المباني ص٢٨٨، وسر صناعة الإعراب ١/ ٥٢١، ٢/ ٧٢٨، وشرح الأشموني ٢/ ٣٣٢، وشرح عمدة الحافظ ٢/ ٥٢١ ٢٤٨ والمقرب ١/ ١٨١، ٢/ ٢٠١، والممتع في التصريف ٢/ والشاهد فيه قوله :لهف: منادى سقط منه حرف النداء، والأصل: "يا لهفا" فحذفت الألف المنقلبة عن ياء المتكلم اجتزاء بالفتحة. ".

٢) الشاهد للنابغة الذبياني من بحر الطويل وهوفي ديوانه ٤٠، والكتاب ٢/ ٢١١، والأزهيّة ٢٣٧، وخزانة الأدب ٢/ ٣٢١، والدرر ٣/ ٥٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٤٥، وكتاب اللامات ١٠٢، والمقاصد النحوية ٤/ ٣٠٣، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ١٢١، وجمهرة اللغة ص ٣٥٠، ورصف المباني ١٦١

الثالث: ما ذكره الفراء وأبو عبيد وأبو حاتم وقطرب في أحد قوليه وهو أنَّ الألفَ في «با أبتا» للندبة، ثم حَذَفها مُجْتَزِئًا عنها بالفتحة. وقد ردَّ بعضُهم هذا المذهبَ بأنَّ الموضع ليس موضعَ ندبة. وإلى هذا الرأي مال ابن جني إذ قال "يَا أَبَتَ" أراد يا أبتاه، وحذف الألف. [١].

الرابع: أنَّ الأصلَ: يا أبتًا بالتنوين، فحذف التنوين لأنَّ النداءَ بابُ حَذْفٍ، وإلى هذا ذهب قطرب في القول الثاني. وقد رُدَّ هذا عليه بأن التنوينَ لا يُحْذَفُ من المنادى المنصوب نحو: «يا ضاربًا رجلًا». وقرأ أبو جعفر «يا أبي» بالياء، ولم يُعَوِّض منها التاء.[٢]

أما توجيه حركة التاء بالكسر فقد علل المبرد سر كسرتها بأنها للدلالة على ياء الإضافة المحذوفة التي عوضت عنها فيقول " فَيجْعَل الْهَاء بَدَلا من الياء، ويلزمها الْكسر؛ لتدل على الياء؛ لِأَن هَاء التَّأْنِيث لَا تكون سَاكِنة؛ لِأَنَّهَا كاسم ضم إِلَى اسم[٣]

ثم قال في موضع آخر: "فَأَما الكسرة الَّتِي فِيهَا فدلالة على الْإِضَافَة وَكَانَت الْهَاء دَاخِلَة على الْأُم لِأَنَّهَا مُؤَنّثَة وعَلى الْأَب كَمَا دخلت فِي روَّاية وعلامة للْمُبَالَغَة وَلِأَن الشَّيْئَيْنِ إِذا جَرِيا مجْرى وَاحِدًا سوى بَين لَفْظهمَ[٤]

وذهب الزمخشري إلى أن الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك: يا أبي، قد زحلقت إلى التاء، لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحا: فإن قلت: فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء

---

[١] الخصائص لابن جني ٢/٢٩٥

[٢] الدر المصون ٦/٤٣١

[٣] المقتضب للمبرد ٣/١٦٩

[٤] المقتضب ٤/٢٦٢

ساكنة؟ قلت: امتنع ذلك فيها، لأنها اسم، والأسماء حقها التحريك لأصالتها في الإعراب، وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرّك تخفيفًا، لأنها حرف لين[١]

أما قراءة الضم: فقد اخْتُلِف في جواز ضم التاء في أبتِ ويا أمتِ، فأجازه الفراء ومنعه الزَجَّاج، ونُقِل عن الخليل: أنه سَمِع من العرب من يقول: يا أبَتُ ويا أمَتُ بالضم، فمن ضم فقد رأى اسمًا في آخره تاء تأنيث، فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال: «يا أبت» كما تقول «يا تبة» من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة[٢] وهذا تفسير قولهم أو اكتفي من الإضافة بنيتها، ويضم الاسم" المضاف للياء، "كما تضم المفردات" في غير الإضافة، "وإنما يفعل ذلك" الضم "فيما لا يجوز فيه أن لا ينادى إلا مضافًا" كالأم والأب والرب، حملا للقليل على الكثير، "كقول بعضهم: يا أم لا تفعلي" بضم الميم. حكاه يونس [٣]. "وقراءة آخر: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ} [يوسف: ٣٣] بضم "رب" [٤] لأن الأم والرب الأكثر فيهما أن لا يناديا إلا مضافين للياء، والأصل: يا أمي ويا ربي، فحذفت الياء تخفيفا وبُنيا على الضم تشبيها بالنكرة المقصودة جعلوه معرفة بالقصد

١) الكشاف للزمخشري ٤٤١/٢

٢) الكشاف للزمخشري ٤٤٢/٢

٣) في الكتاب ٢/ ٢١١: "يا أمة لا تفعلي"

٤) في رسم المصحف: {رَبِّ} ؛ بالكسر؛ وقرئت بالضم: "ربُّ". انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٩، وشرح ابن الناظم ص٤١٢

فبنوه على الضم، وهذه الضمة كقولك في: يا رجل، إذا قصدت رجلا بعينه. [١].

وبعد، ففتح التاء في (يا أبت) هو الأقْيس"، لأن التاء بدل من ياء حركتها الفتح، فتحريكها بحركة أصلها هو الأصل في القياس، وكسرها هو الأكثر وبالفتح قرأ ابن عامر، وبالكسر قرأ غيره من السبعة.

وعلى هذا يكون في ندائهما عشر لغات منها ست مشهورة وأفصح الست حذف الياء وإبقاء الكسرة نحو: يا أبِ ويا أمِّ، بكسرهما، ثم إثبات الياء ساكنة أو متحركة بالفتح نحو، يا أبيْ ويا أميْ ويا أبيَ ويا أميَ، ثم قلبها ألفًا نحو: يا أبا ويا أما. ثم حذف الألف وإبقاء الفتحة نحو: يا أبَ ويا أمَّ، بفتحهما، وأقلُّها الضم نحو، يا أبُ ويا أمُّ بضمهما.

والأربعة الباقية "أن تعوض" أنت "تاء التأنيث من ياء المتكلم وتكسرها، وهو الأكثر" في كلامهم، : يا أبَتِ ويا أمتِ بكسرهما، ويا أبَتَ ويا أمتَ بفتحهما، ويا أبَتِي بإثبات الياء ويا أبَتَا بقلب الياء ألفاً، هذه، وإثبات الياء لغة ثالثة، وقلب الياء ألفاً لغة رابعة، مع الست فهي عشرٌ[٢]

من خلال ما سبق يظهر عناية النحويين البالغة بما يلي:

١) أصل الوضع الإفرادي والتركيبي[٣] :

---

[١] التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٢٣٤/٤

[٢] شرح ألفية ابن مالك للحازمي ١٠١/٩٩

[٣] يقصد بأصل الوضع : الأصل المجرد لوضع اللفظ المفيد أو التركيب الصحيح. وموضوعه: جواهر الألفاظ المفردات وهيئاتها من حيث الوضع للدلالة على المعانى الجزئية وفائدته: أنه معيار يتسع لكل تصرفات الكلمة وأنماط التركيب ، ويعطي تفسيرا نظريا لبعض الأحكام ينظر الأصول د/ تمام حسان ١٣٦.

والمراد بـــأصل" الوضع " في أبسط تعريفاته " تخصـــيص الشـــيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني، وهو" فـــي الحقيقـــة فكـــرة مجردة ، تعد ثابتا من ثوابت التحليل اللغوي ترد إليـــه أنـــواع الكلمـــات والتراكيب المختلفة وتستأنس به شواردها وأوابدها، حتى إذا خضعت هذه الأوابد لذلك الأصل المطرد، سهل على النحاة أن يبنوا قواعدهم على هذه الأصول، دون أن يمنحوا الأوابد إلا تفسيرا هنا وتأويلا هناك " [١].

فأصل لات وهيهات وهيت ويا أبت وغيرها واللهجات فيهـــا وتوجيـــه حركة التاء في كل لهجة والبحث عن أصل كل كلمة هل أصلها عربي أو معرب ؟، وما يستلزم ذلك من درس مقارن مستصحبا الأصل التـــاريخي هو عين العناية بأصل الوضع، وقد ظهر هذا بجلاء في توجيـــه النحـــاة لحركة الفتح من (يا أبت) وكان من منهجهم العدول عن الخفيف إلى ما هو أخف منه ، ومنهجهم في هذا يقضي بأن ما عدل عن القياس فيه يـــؤدي على استعمالهم ولا يقاس عليه ، قال الخليل: "كل شيء من ذلـــك عدلتـــه العرب تركته على ما عدلته عليه ، وما جاء تاما لم تحدث فيه العرب شيئا فهو على القياس " [٢]

---

[١]) الأصول للدكتور / تمام حسان ص ١٣٥ بتصرف وينظر نظرية الأصل والفرع فى النحو العربى د / حسن الملخ ص ١١٤

٢) الكتاب لسيبويه ٣٣٧/٣

٢) ظاهرة التشبيه أو الحمل على النظير[١]:

استند النحاة إلى ظاهرة التشبيه لتساعدهم في الحصول على وجه لما يعالجونه، وإلا بات توجيههم لا وجه له ينطق به سماع أو يقبله قياس، أو له علة بها تأنس النفس ولا أدل على ذلك من قراءة من ضم التاء من (يا أبت) وذلك أنه رأى اسمًا في آخره تاء تأنيث، فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال: «يا أبت» كما تقول «يا تبة» من غير اعتبار لكونها عوضًا من ياء الاضافة (أو ماعبر عنه بعضهم بقولهم: أو اكتفي من الإضافة بنيتها، ويضم الاسم" المضاف للياء، "كما تضم المفردات" في غير الإضافة، وقاس ذلك وشبهه على قراءة ": {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلي} [يوسف: ٣٣] بضم "رب" أو (قال رب احكم بالحق) بضم رب[٢] .

٣) قصد المتكلم وأثره في بناء الحكم النحوي وتوجيهه:

فقد حكم غير واحد من النحويين على قراءة الضم بالغرابة، ولعل مرد هذا لإغفال بعضهم جملة المتغيرات غير اللغوية الحافة بالنص من قصد المتكلم وحال المخاطب والمقام والقرائن، وما تتركه هذه المتغيرات من أثر، وهو ما عبروا عنه سابقًا بقولهم: أو اكتفي من الإضافة بنيتها، ويضم الاسم المضاف للياء، "كما تضم المفردات في غير الإضافة، أما من تنبه لهذا البعد من النحويين فقد خرَّجه بأكثر من وجه وأن هذا التغاير في

---

١) " التشبيه أو المضارعة هو: " قياس يبتدعه النحوي تنبيها على علة الحكم الثابت عن العرب بالنقل الصحيح، وتفسيرًا لظاهرة الاشتراك بين الأصل والفرع " ينظر : القياس فى اللغة العربية للدكتور / محمد حسين عبد العزيز ص ٣٠ بتصرف

٢) الرسم المصحفي: {رَبِّ} ؛ بالكسر؛ وقرئت بالضم: "ربُّ". انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٩، وشرح ابن الناظم ص٤١٢

الحركات الإعرابية المؤدي إلى تغاير في وظيفة تلك الألفاظ في كثير من مناحيه ناتج عن قصدية المتكلم، وما يريد التعبير عنه، إضـــافة إلـــى أن المتكلم قد يبث جملة واحدة تحتمل أكثر من معنى حسب ما يرتئيه المتكلم.

خامسا:(أنت)

ذهب ابن كيسان إلى أن التاء في أنت اسم [١]، وعزاه ابن هشام إلى الجلوليّ ورَدَّه، قال ابن هشام: وزعم الجلولي أَنَّ التاء من أنت اسْم وَهُوَ خرق لإجماعهم، وَعَلِيهِ فَيَأْتِي فِي الِاسْم الظَّاهِر بعْدهَا أَن يكون بَدَلا أَو مُبْتَدأ وَالْجُمْلَة قبله خبر وَيَرِدهُ أَن الْبَدَل صَالح للاستغناء بِهِ عَن الْمُبدل مِنْهُ وَأَن عود الضَّمِير على مَا هُوَ بدل مِنْهُ نَحْو اللَّهُمَّ صل عَلَيْهِ الرؤوف الرَّحِيم قَلِيل وَأَن تقدم الْخَبَر الْوَاقِع جملَة قَلِيل[٢]

وذهب ابن جني وابن هشام وغيرهما إلى أن التاء في أنتَ وأنتِ عارية من معنى الاسم، مجردة لمعنى الحرف. لأنها خطاب وليست اسمًا، فإن معها نفسها الاسم، وهو "أن" من "أنت"، فالاسم على كل حال حاضر، وليس كذا قولنا: "ذلك"؛ لأنه ليس للمخاطب بالكاف هنا اسم غير الكاف، كما كان له مع التاء في "أنت" اسم للمخاطب نفسه، وهو "أن" فاعرف ذلك فرقًا بين الموضعين.[٣]

ثم ذكر ابن هشام [٤] أن من غَرِيب أَمر التَّاء الاسمية أَنَّهَا جردت عَن الْخطاب وَالْتزم فِيهَا لفظ التَّذْكِير والإفراد فِي أرأيتكما وأرأيتكم وأرأيتك

---

[١] ابن كيسان النحوي د/ محمد إبراهيم البنا ص١٢١

[٢] ينظر المغني لابن هشام ١٥٧/١بتصرف يسير.

[٣] الخصائص لابن جني ١٩١/٢

[٤] ينظر مغني اللبيب لابن هشام ١٥٧/١

وأرأيتك وأرأيتكن إِذْ لَو قَالُوا أرأيتماكما جمعُوا بَين خطابين.. ولذلك لزمت التاء الإفراد والفتح في الأحوال كلها، نحو قولك للمرأة: أرأيتك زيدًا ما شأنه، وللاثنين "وللاثنتين" أرأيتكما زيدًا أين جلس؟ ولجماعة المذكر والمؤنث: أرأيتكم زيدًا ما خبره."، فكذلك التاء في أنت ونحوها في أخواته لا محل لهذه اللواحق من الإعراب، إنما هي علامات كالتنوين وتاء التأنيث وياء النسب[١]

سادسا: (تلك)

ذهب الأخفش في تفسير قوله تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قدخلت- البقرة١٤١- } إلى أن التاء في تلك: اسم المؤنث، واللام عمادٌ للتاء، والكاف خطاب، وكُسرت التاء من تلك علامةً للتأنيث، وعلى نحو قريب ذهب مكي بن أبي طالب إلى أن (تلك) حيثما وردت في القرآن اسم مبهم، والتاء هو الاسم، واللام دخلت لتدل على بعد المشار إليه، والكاف للخطاب لا موضع لها من الإعراب، وأصل تلك: تيلك، فلما توالت كسرتان بينهما ياء، وهما كسرتا التاء واللام أسكنت اللام تخفيفا، وحذفت الياء لسكونها وسكون اللام.[٢]

سابعا:(كلتا وأخت وبنت)

اختلف النحويون في التاء من " كلتا وبنت وأخت" وكان لذلك الخلاف أثر في النسب والمنع من الصرف والتصغير والجمع بناء على اختلافهم في حقيقة التاء، إذ "كلا" و"كلتا" مفردان لفظًا مثنيان معنًى،

---

[١] شرح المفصل لابن يعيش ١٦٦/١

[٢] ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ج١/١٠٥/١٠٦

والألف فيهما هي لام الكلمة، فوزن "كلا" فِعَلٌ بكسر الفاء وفتح العين، نظير رِضًا ومِعًى، وهذه الألف التي في "كلا" منقلبة عن واو، وقيل: عن ياء، ووزن "كلتا" فعلى مثل ذكرى، والتاء فيها هي لام الكلمة، وأصلها واو على ما اختاره ابن جني، واختار أبو علي أن أصلها ياء، أما الألف في "كلتا" فهي زائدة لدلالة التأنيث. وقال يونس: ألفُها أصلٌ وتاؤُها مزيدةٌ، ووزنُها فِعْتَل قالَ أبو العباس: التاءُ في "كِلتا" عندَ سيبويه بَدلٌ مِنْ أَلفِ "كِلا" مثلُ التاءِ التي هيَ بَدلٌ مِن واوٍ فَحُذِفَ أَلفُ التأنيثِ وردَّ ما التاءُ بدلٌ منه وأَما "كِلتا" فالدليلُ عَلى تحركِ عينِها قولُهم كِلَا كمعًى واحد الأمعاء. ومَنْ قالَ: رأيتُ كِلتَا أُختيكَ فإنهُ جعلَ الألفَ أَلفَ تأنيثٍ...فإنْ سمّى بهَا شيئًا لم يصرفْه في معرفةٍ ولا نكرةٍ وصارتِ التاءُ بمنزلةِ الواوِ في "شَرْوَى".(١)

وأما أخت وبنت فذهب بعضهم إلى أن التاء عِوَضٌ من لام الكلمة، لأنها واو أو ياء في الأصل فأصلها أَخَوَة وبنوة، وأعلوها بالحذف كما أعلوا مذكرها، وذهب بعضهم إلى أنها علامة تأنيث، وذهب آخرون إلى أنها للإلحاق؛ لأن «تاء» التأنيث لا يسكن ما قبلها بل يلزم تحركه لفظا كـ «تمرة» أو تقديرا كـ «قطاة» ولأنها تثبت وقفا في لغة الجميع، و «تاء» التأنيث لا تثبت لفظا إلّا في لغة طيّئ، بل تقلب «هاء».(٢)

وذهب بعض المحققين إلى أن التاء في بنت وأخت تدل على معنى، وهو التأنيث، وإن كانت غير متمحضة له، والكلمتان من غير التاء لا

---

١) ينظر الكتاب لسيبويه٣/٣٦١ والمقتضب للمبرد ١٥٥/٣ والأصول لابن السراج ٧٨/٣

٢) نظر الكتاب (٣/ ٢٢١) والتذييل (٦/ ٤٩٠، والهمع (٢/ ٢٠٩).

تدلان على التأنيث.، إذ ليس في كلام القوم تاء تأنيث قبله حرف صحيح ساكن، وإنما هو بدل من الواو أو الياء في بَنَوٍ، إلّا أنهم عدلوا عن فَعَلٍ إلى فعْلٍ ولم يقولوا: بَنَتٌ بفتح الفاء والعين من الكلمة كما كان أصلها، لئلا يظن ظانٌّ أن التاء للتأنيث، حتى كأنه قيل: بَنَوَةٌ أو بَنَيَةٌ، ثم حذفت لامها فبقي بَنَةٌ، وعلى بَنَةٍ أتت بنات. [١].والأرجح عندي أنها عوض من لام الكلمة التي هي واو في الأصل، ولكن مع ذلك تدل على التأنيث بلفظها[٢]

قال ابن السراج: ومن أصحابنا من قال إن تاء بنت وأخت للتأنيث، وإن الاسم مبني عليها فيمنعونهما الصرف في المعرفة، ونقله بعضهم عن الفراء. قلت: وقياس قول سيبويه إنه إذا سمي بهما مؤنث أن يكون على الوجهين في هند. [٣]

وتأسيسًا على الخلاف السابق اختلف النحويون في النسبة إليهما على ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب سيبويه والخليل وهو أن ينسب إليها بحذف تاءاتها كالنسب إلى مذكراتها، وإن كانت للإلحاق إجراء لها مجرى تاء التأنيث فيقال في النسبة إليهما بنوي وأخوي [٤]

المذهب الثاني: ذهب يُونُس إلى أن النسب إليها يكون على لفظها فأجرى الملحق مجرى الأصل، فعامَلَ التاءَ معامَلَة الأَصْل وَجَعَلها بِإزاء

---

١) انظر في هذا أيضًا إعراب النحاس ١/ ٤٠٥، والتبيان ١/ ٣٤٤

٢) ينظر : الكتاب لسيبويه ٣٦١/٣شرح المفصل لابن يعيش ٦٠/٥وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائدلناظر الجيش ٤٧٢٢/٩تحقيق د/علي محمد فاخر وآخرين.

٣) ينظر الأشموني بشرح حاشية الصبان ٣٧٥/٣

٤) ينظر :الكتاب لسيبويه ٣٦١/٣ وشرح الجاربردي ١٢١/١

راءِ عَمْر ولَام قُفْل فقال: أختي وبنتي محتجا بأن التاء لغير التأنيث بدليل سكون ما قبلها مع كونه حرفا صحيحا، وبدليل عدم إبدالها في الوقف هاء بدليل قولهم في الجمع أخوات وبنات[١]، ورد عليه بأن ذَلِكَ غَلَطٌ لِأَن التاءَ وَإِن لم تَكُن للتأنيث فَإِنَّهَا لَا تَدْخُل فِي مثل هَذَا إِلَّا والمرادُ بِها التأنِيثُ فَصَارَت مساويَة للهاء فِي الدَلالة على التَّأْنِيث ففُعِل بهَا مَا يُفْعَل بِالْهَاءِ وَالدَّلِيل أَنَّها لَيست كالهاءِ إسْكانُهم وتَهْيئَتُهم لَهَا لتجسيم الصِّيغة بهَا بإسكانهم الخاءَ وَكَذَلِكَ فَعَلوا فِي بِنْت وَلَو كانتْ بمنْزِلة الْهَاء لفُتِح مَا قبلهَا لِأَن الهاءَ لَا يكونُ مَا قَبْلها إِلَّا مَفْتُوحًا أَو فِي نِيَّة الفتحة فأمَّا قَوْلهم البُنُوَّة فَلَيْسَ بدالٍ على أَن التَّاء فِي بِنْتُ مُنْقَلِبةٌ عَن وَاو.[٢]

قال الصبان :" والتاء في ابنة واثنتين للتأنيث كالتاء في امرأة كما أفهمه كلامه، بخلاف التاء في بنت وثنتين؛ فإنها فيهما بدل من لام الكلمة؛ إذ لو كانت للتأنيث لم تسكن ما قبلها، ويؤيد ذلك قول سيبويه: لو سميت بهما رجلًا لصرفتهما يعني بنتًا وأختًا، وإفهام التأنيث مستفاد من أصل الصيغة لا من التاء[٣]

المذهب الثالث: مذهب الأخفش [٤] وهو أنه تحذف التاء من هذا الضرب، ويقر ما قبله على سكونه، وما قبل الساكن على حركته ويرد المحذوف فتقول: أُخَوي وبِنَوي. وكان لهذا الخلاف صداه في توجيه

---

[١] ينظر تمهيد القواعد لناظر الجيش ٤٧٢٣/٩، وحاشية الصبان بشرح الأشموني ١٩٤/٤

[٢] المخصص لابن سيده ٣٣١/١

[٣] حاشية الصبان بشرح الأشموني على الألفية ٣٨٦/٤

[٤] ينظر :تمهيد القواعد ٤٧٢٤/٩والأشموني ١٩٥/٤

الآيات القرآنية المشتملة على شيء من ذلك منه قوله تعالى:(يَا أُخْت هَارُون – مريم ٢٨) قال مكي في المشكل: التَّاء فِي أُخْت لَيست بِأَصْل لَكِنَّهَا بِمَنْزِلَة الأَصْل لِأَنَّهَا زيدت للإلحاق لِأَن أصل الِاسْم أخوة على فعلة فحذفت الْوَاو وضمت الْهمزَة لتدل على الْوَاو المحذوفة كَمَا كسرت الْبَاء فِي بنت لتدل على الياء المحذوفة وأصل بنت بنية فبقى الاسم على حرفين الْهمزَة وَالْخَاء فزيدت التَّاء وَألْحق بِبِنَاء فعل والتصغير وَالْجمع يدلان على مَا قُلْنَا لِأَنَّك تردها إِلَى أَصْلهَا فِي التصغير وَالْجمع فَتَقول أخية وأخوات وَحذف الْوَاو فِيهَا على غير قِيَاس وَقيل لِكَثْرَة الاستعمال وَكَانَ الْقيَاس أَن تَقول فِي الْوَاحِدَة أخاة تقلب الْوَاو ألفا لتحركها وانفتاح مَا قبلهَا وَكَذَلِكَ التَّاء فِي بنت زيدت لتلحق الاسم بِبِنَاء جذع لِأَن الياء مِنْهَا حذفت على غير قِيَاس إِلَّا أَن بِنْتا لَا ترد الياء فِيهَا فِي الْجمع وَترد فِي التصغير تَقول فِي التصغير بنية كَمَا تَقول فِي أُخْت أُخيه وَتقول فِي الْجمع بَنَات وَلَا تَقول بنيات كَمَا تَقول أَخَوَات[1]، وفي نتائج الفكر :وكان القياس أن يقولوا في المؤنث: " أخته "، بهاء في الوقف، فلو فعلوا ذلك لكانت تلك التاء حرف إعراب في الإضافة والإفراد، ولم يمكنهم أن يعيدوا المحذوف في الإضافة تتميماً للفظ فيخالف لفظه لفظ المذكر، ولا أمكنهم من تطويل الصوت بالحركات ما أمكنهم في التذكير، لأن ما قبل (تاء) التأنيث ليس بحرف إعراب، ولا أمكنهم نقصان اللفظ في الموطن الذي تم فيه المعنى، فجمعوا بين الأغراض بإبدالها تاء، لتكون في حال الإفراد علمًا للتأنيث، وفي حال الإضافة من تمام الاسم كالحرف الأصلي، إذ هو موطن تتميم كما تقدم، وسكنوا ما قبلها لتكون بمنزلة الحرف الأصلي، وضموا أول الكلمة إشعاراً

[1]) مشكل إعراب القرآن لمكي ٤٥٤/٢

بالواو، وكسروها في " بيت " إشعارًا بالياء، لأنها من (بنيت). وقالوا في تأنيث ابن: ابنة وبنت، ولم يقولوا في تأنيث أخ إلا أخت، والعلة في ذلك مستقرأة ممّا تقدم من الكلام[1]

[1]) نتائج الفكر في النحو ٧٩/١

الفصل الثاني

أثر حركة التاء في المعنى

التاء هو الصوت اللغوي الذي غيّر الدلالة من التذكير إلى التأنيث، وكان لهذا أثره في أحكام تأنيث الفعل للفاعل الحقيقي أو المجازي مع الفصل أو الوصل، وجوبا أو جوازا، وتأنيث الفعل وتذكيره مع المؤنث المجازي وجمع التكسير، و جمع المؤنث السالم واسم الجمع بين التذكير والتأنيث، وقد ورد بذلك القراءات القرآنية [١]، وقد مثّلت التاء وحركتها في كلٍّ بُعْدًا دلاليًا ثرًّا، إذ تستخدم التاء مع غيرها في تركيب الصيغ والأبنية المختلفة، لتحمل دلالات معينة ، وتشكل رموزا لهذه الدلالات، فهي التي تدخل في تركيب الأصل الثلاثي، وتشكل حركة التاء بالانتقال من الفتح إلى الضم أو الكسر في الأفعال دلالات عَمَد النحاة وعلماء التوجيه إلى تفسيرها كالبناء للمفعول أو الحمل أو اختلاف اللهجات، كما مثَّل التناوب بين التاء والياء أو التاء والنون ميدانا فسيحا لظواهر لغوية متعددة منها الحمل على المعنى الذي يعد في حقيقته وسيلة من وسائل تقريب الخارج على القاعدة إلى القياس، فهو يستخدم في تعليل خروج بعض النصوص على قواعد المطابقة سواء أكان في النوع أم في العدد، وبخاصة في التذكير والتأنيث والإفراد والجمع، وحالات التعدي واللزوم، والتضمين، والعطف على التوهم، وقد عقد له ابن جنى بابا في خصائصه[٢] والقاعدة: أن الحمل على اللفظ والمعنى أولى من الحمل على

---

[١] ينظر :دراسات لأسلوب القرآن الكريم للأستاذ الشيخ /محمد عبد الخالق عضيمة ج١/ القسم الثالث ص٤٨٠، ٥٣٢ –٥٦٢دار الحديث – القاهرة.

[٢] الخصائص:باب الحمل على المعنى ص٤١٣/٢

المعنى، "والحمل على اللفظ أولى من الحمل على المعنى" قال أبو علي: "لأن الحمل على المعنى ليس ككثرة الحمل على اللفظ"[١] وقال الأنباري "لأن الحمل على المعنى اتساع يقتصر فيه على السماع"[٢] وأمثلته كثيرة[٣]. والأصل في النصوص اللغوية والشرعية أن تكون معبرة بذاتها عما تتناوله من معان، ولا يصار إلى المجاز إلا إذا اقتضى ذلك ضرورة ماسة ليستقيم معناه لأسباب سياقية مقصدية أو لاعتبارات شرعية أو عقدية. والحمل لاشكّ ضَرْبٌ من ضروب المجاز.

---

[١] الحجة للفارسى ٣٤/٤

[٢] الإنصاف ٢٨٧/٢

[٣] المخصص ١١٧/١٧، ١١٨، الإنصاف من قوله :والحمل على المعنى كثير من صـــــــــــــ٢٨٧/٢٧١/٢

وقد ورد في القرآن الكريم وقراءاته مظاهر عدة لكلّ منها فمن التعدية واللزوم:

• قوله تعالى (تساقط عليك رطبا جنيا – مريم ٢٥) قرأ حفص بضم التاء وكسر القاف مخففة وفتحهما الباقون وكلهم شدد السين إلا حمزة وحفصًا [١] وحجة من ضم التاء أنه جعله مستقبل "ساقطت" فعداه إلى الرطب فنصبه به، الفاعل النخلة تضمر في "تساقط" أي: تساقط النخلة رطبًا جنيًّا عليك. ويجوز أن يكون الفاعل الجذع، وأنثه لأنه ملتبس بالنخلة إذ هو بعضها كما قالوا: ذهبت بعض أصابعه، فأنثوا البعض لالتباسه بالأصابع، لأنه بعضها. وحجة من فتح التاء وخفف أنه أراد "تتساقط" ثم حذف إحدى التاءين، ويكون الفعل مسندا إلى النخلة أيضا أو إلى الجذع، وفي نصب " رطبًا " في هذه القراءة ب"تساقط" بعد، لأنه مستقبل "تفاعل" وهو في أكثر أحواله لا يتعدى فيكون منصوبا على الحال، وقد أجاز بعض النحويين نصبه على المفعول به لأن تساقط مطاوع ساقط كما أن "تفعل" مطاوع " فعل "فكما عدى "تفعل في نحو "تجرعته" كذلك عدى "تفاعل " كما عدى "فاعل" وحجة من شدد أنه أدغم التاء الثانية في السين، على ما ذكر في نحو قوله تعالى "تساءلون به" وهو الاختيار لأن الجماعة عليه ولأنه الأصل:[٢].

• وقَوْله تَعَالَى(لترون الْجَحِيم – التكاثر٦) من قَرَأَ بِضَم التَّاء جعله فعلا رباعيًّا مَنْقُولًا مِن رأى مِن رُؤْيَة الْعين فتعدى بنقله الى

---

[١] ينظر : الكشف لمكي ١٩٢/٢' والنشر ٣١٨/٢،وإتحاف الفضلاء ٢٩٨

[٢] ينظر : الكشف لمكي ١٩٢،١٩٣/٢والكشاف للزمخشري ٥٠٧/٢والإتحاف ٢٩٨

الرباعي إلى مفعولين قَامَ أَحدهمَا مقَام الْفَاعِل وَهُوَ الْمُضمر فِي لترون مفعول لم يسم فَاعله والجحيم الْمَفْعُول الثَّانِي، وَمن فتح التَّاء جعله فعلًا ثلاثيًّا غير مَنْقُول إلى الرباعي فعداه إلى مفعول وَاحِد لِأَنَّهُ فِي الْوَجْهَيْنِ من رُؤْيَة الْعين[1]

وفي تنوع القراءات واختلاف اللهجات:

- قال تعالى:" وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (هود-١١٣)

قرئ: ولا تركنوا، بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء. وعن أبى عمرو: بكسر التاء وفتح الكاف، على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم. ونحوه قراءة من قرأ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ بكسر التاء. وقرأ ابن أبى عبلة: ولا تركنوا، على البناء للمفعول، من أركنه إذا أماله، والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومدّ العين إلى زهرتهم. وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمّل قوله وَلا تَرْكَنُوا فإن الركون هو الميل اليسير.

- قوله تعالى: {ربنا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا -آل عمران -٨}: العامَّةُ على ضَمِّ حرفِ المضارعة من: أزاغ يُزيغ. و «قلوبَنا» مفعول به. وقرأ أبو بكر وابن فايد والجراح «لا تَزِغ قلوبُنا» بفتح التاء ورفع «قلوبنا»، وقرأه بعضهم كذلك إلا أنه بالياء من تحت،

[1]) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٨٣٩

وعلى القراءتين فالقلوب فاعلٌ بالفعل المنهيِّ عنه.[1] وفي القرطبي: وَهَذِهِ الْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ الْعِبَادَ ... وَقَرَأَ أَبُو وَاقِدٍ الْجَرَّاحُ" لَا تُزِغْ قُلُوبَنا" بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى الْقُلُوبِ، وَهَذِهِ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ أَلَّا يَكُونَ مِنْكَ خَلْقُ الزَّيْغِ فِيهَا فتزيغ[2]

● وفي ثراء المعنى وتنوع الدلالة :قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَرَأَتْ عَامَّةُ الْقُرَّاءِ: {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: ١١٩] بِضَمِّ التَّاءِ مِنْ «تُسْأَلُ» وَرَفْعِ اللَّامِ مِنْهَا عَلَى الْخَبَرِ، بِمَعْنَى: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَالْإِنْذَارُ، وَلَسْتَ مَسْئُولًا عَمَّنْ كَفَرَ بِمَا أَتَيْتَهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: (وَلَا تَسْأَلْ) جَزْمًا بِمَعْنَى النَّهْيِ مَفْتُوحَ التَّاءِ مِنْ تَسْأَلْ، وَجَزْمِ اللَّامِ مِنْهَا. وَمَعْنَى ذَلِكَ عَلَى قِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لِتُبَلِّغَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، لَا لِتَسْأَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِهِمْ[3].

● ومِن التناوب بين التاء والياء قوله تعالى {يخيل إليهِ من سحرهم أَنَّهَا تسْعَى، طه ٦٦} من قَرَأَ يخيل بِالياءِ جعل أَن فِي مَوضِع رفع لِأَنَّهَا مفعول لم يسم فَاعله ليُخَيل وَمن قَرَأَ تخيل بِالتَّاءِ وَهُوَ ابْن ذكْوَان فإنه جعل أَن فِي مَوضِع رفع على الْبَدَل من

---

[1] البحر المحيط ٥/٣ الدر المصون ٢٩/٣

[2] تفسير القرطبي ٢٠/٤

[3] تفسير الطبري ٤٨٠/٢

الْمُضمر فِي تخيل وَهُوَ بدل الاشتمال، وَيجوز مثل ذَلِك فِي قِرَاءَة من قَرَأَ بِالياءِ على أَن تجْعَل الْفِعْل ذكر على الْمَعْنى وَيجوز أَن تكون أَن فِي قِرَاءَة من قَرَأَ بِالتَّاءِ فِي مَوضِع نصب على تَقْدِير حذف الْبَاء تَقْدِيره تخيل إِلَيه من سحرهم بِأَنَّهَا تسْعَى وَتجْعَل الْمصدر فِي مَوضِع مفعول لم يسم فَاعله[1]

وقَوْله {أصحاب الأيكة– الشعراء /١٧٦} لم يخْتَلف الْقُرَّاء فِي الْهمزَة والخفض هُنَا وَفِي قَاف، وَإِنَّمَا اخْتلفُوا فِي الشُّعَرَاء وصاد فِي فتح التَّاء وخفضها فَمن فتح التَّاء قَرَأَهُ بلام بعْدهَا يَاء وَجعل الأيكة اسْم الْبَلدة فَلم يصرفهُ للتأنيث والتعريف ووزنه فعله وَمن قَرَأَهُ بالخفض جعل أَصله أيكة اسْم لموْضِع فِيهِ شجر ودوم ملتف ثمَّ أَدخل عَلَيْهِ الْألف وَاللَّام للتعريف فَانْصَرف[2]

- قرأَ الْكسَائي {قَالَ لقد علمت –الإسراء ١٠٢} بضم التَّاء، وفتحها الباقون وحجة من ضم التاء أن موسى عليه السلام أخبر بذلك عن نفسه، وأنه لاشك عنده في أن الذي أنزل الآيات هو رب الأرض والسماوات، وحجة من فتح التاء، فعلى أَن فِرْعَوْن وَمن كَانَ تبعه قد علمُوا صِحَة أَمر مُوسَى ولكن جحدوا ذلك عنادا وتكبرا كما قال تعالى {وجحدوا بهَا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا}، ويقوي فتح التاء على الخطاب قوله بعد ذلك" وإني لأظنك" فأتى بالكاف للخطاب، وهو الاختيار وعليه قراءة الجماعة.[3] .

---

[1]) مشكل إعراب القرآن لمكي ٤٦٨/٢

[2]) مشكل إعراب القرآن لمكي ٤١٦/١

[3]) ينظر المشكل لمكي ١٦١/٢وحجة القراءات لأبي زرعة٤١١والبحر المحيط٨٦/٦

● قوله تعالى { من بعد مَا كَاد يزِيغ قُلُوب فريق مِنْهُم –التوبة ١١٧}قَرَأَ حَمْزَة وَحَفْص {من بعد مَا كَاد يزِيغ} بِالياءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ، فمن قَرَأَ {يزِيغ} بِالياءِ جعل فِي كَاد اسْما وترتفع الْقُلُوب ب {يزِيغ} وَالتَّقْدِير كَاد الْأَمر يزِيغ قُلُوب فريق مِنْهُم وَإِنَّمَا قَدرنَا هَذَا التَّقْدِير لِأَن كَاد فعل ويزيغ فعل وَالْفِعْل لَا يَلِي الْفِعْل وعَلى هَذِه الْقِرَاءَة لَا يجوز أَن يرْتَفع الْقُلُوب بكَاد، وَمن قَرَأَ بِالتَّاءِ ارْتَفَعت الْقُلُوب بكَاد، فلَا يجوز حِينَئِذٍ إِلَّا تزِيغ بِالتَّاءِ، لِأَن فِيهِ إضمارًا للقلوب وَمَعْنَاهُ التَّأْخِير وَالتَّقْدِير من بَعْدَمَا كَاد قُلُوب فريق مِنْهُم تزِيغ وَمن رفع الْقُلُوب بتزِيغ أضمر فِي كَاد الْأَمر كَمَا ذكرنَا[1]

● قُرِئَ (يُقَاتِلُونَ) – التوبة– ١١١) بِكَسْرِ التَّاءِ وَفَتْحِهَا، فَإِنْ كَسَرْت التَّاءَ كَانَ خَبَرًا عَنْ فِعْلِ الْمَأْذُونِ لَهُمْ، وَإِنْ فَتَحْتَهَا كَانَ خَبَرًا عَنْ فِعْلِ غَيْرِهِمْ بِهِمْ، وَإِنَّ الْإِذْنَ وَقَعَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَهُمْ، فَفِي فَتْحِ التَّاءِ بَيَانُ سَبَبِ الْقِتَالِ، وَقَدْ كَانَ الْكُفَّارُ يَتَعَمَّدُونَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْإِذَايَةِ، وَيُعَامِلُونَهُمْ بِالنِّكَايَةِ...وَالْأَقْوَى عِنْدِي قِرَاءَةُ كَسْرِ التَّاءِ.[2]

● ومن أثر حركة التاء في الحمل على المعنى في التذكير والتأنيث وغيره:

---

[1]) حجة القرآن لأبي زرعة ٣٢٦

[2]) أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ص٣/٣٠٠راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطاالناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

قوله تعالى: "ولا يقبل منها شفاعة " البقرة –٤٨–قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء من تحت على المعنى إذ تأنيث الشفاعة ليس بحقيقي، قال أبو حيان: بالتاء هو القياس والأكثر، ومن قرأ بالياء فهو أيضًا جائز فصيح لمجاز التأنيث، وحسنه أيضا الفصل بين الفعل ومرفوعه[١]

● وقوله تعالى: (نغفر لكم خطاياكم– البقرة ٥٨) قراءة نافع بالياء مع ضمها وابن عامر بالتاء مع ضمها، وهي قراءة مجاهد، وقرأها الباقون بالنون مع نصبها، وهي أبْينها ...ووجه من قرأ بالتاء أنه أثبت لتأنيث لفظ الخطايا ؛ لأنها جمع خطيئة على التكسير، ووجه القراءة بالياء أنه ذكَّر لما حال بين المؤنث وبين فعله على ما تقدم في قوله: فتلقى آدم من ربه كلمات وحسن الياء والتاء وإن كان قبله إخبار عن الله تعالى في قوله وإذ قلنا ؛ لأنه قد علم أن ذنوب الخاطئين لا يغفرها إلا الله تعالى فاستغني عن النون ورد الفعل إلى الخطايا المغفورة.[٢]

● قوله تعالى "وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومحرم على أزواجنا "(الأنعام١٣٩)

أنث خالِصَةٌ للحمل على المعنى، لأنّ ما في معنى الأجنة وذكر مُحَرَّمٌ للحمل على اللفظ، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر. وأن تكون مصدرًا وقع موقع الخالص كالعاقبة، أي ذو خالصة. ويدل عليه قراءة من قرأ خالِصَةٌ بالنصب على أنّ قوله لِذُكُورِنا هو

---

[١] البحر المحيط ١٩٠/١

[٢] الحجة لابن خالويه ص٧٦وحجة القراءات لأبي زرعة ص٩٥

الخبر، وخالصة مصدر مؤكد، ولا يجوز أن يكون حالًا متقدمـــة، لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله. وقرأ ابن عباس: خالصة على الإضافة [١]

● {لَا يزَال بنيانهم الَّذِي بنوا رِيبَة فِي قُلُوبهم إِلَّا أَن تقطع قُلُوبهم – التوبة ١١٠}قَرَأَ ابْن عَامر وحمزة وَحَفْص {إِلَّا أَن تقطع} بِفَتْح التَّاء أَي: إِلَّا أَن تتقطع قُلُوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والقلوب رفع بِفِعْلِهَا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {إِلَّا أَن تقطع} بِضَم التَّاء على مَا لم يسم فَاعله، أَي إِلَّا أَن يفعل ذَلِك بهَا، وحجة من قرأ بفتح التاء أنه جعله فعلا للقلوب فرفعها به، لأنها هي المتقطعة بالبلاء، فهو محمول على معنى "تبلى قلوبهم فتنقطع" وبني الفعل على " تتفعل " لكن حذفت إحدى التاءين تخفيفًا لاجتماع المثلين بحركة واحدة، وحجة من ضم التاء أنه بنى الفعل للمفعول، فرفع" القلوب " لمقامها مقام الفاعل، والفعل في الأصل مضاف إلى المقطع لها الـــمبلي لها، فلما حذف من اللفظ ولم يسم قامت القلوب " مقامه فارتفعت بالفعل، فالمعنى: إلا أن تقطع قلوبهم بالموت والبلاء[٢]

ولما كان الحمل بصوره المختلفة مبنيا على نصوص لغوية، كان من البدهي ألا تكون هذه النصوص في مرتبة واحدة بناء على فقه تام لطبيعة اللغة وأسرارها؛ إذ كانوا يدركون أن قانون الاطراد المطلق للغة على اختلاف لهجاتها لا يكاد يتحقق، فاتخذوا من الوسائل ما يقرب هذا الخروج عن القياس، وجاء الحمل على المعنى بمظاهره ليسهم بدوره في رد النصوص المخالفة لظاهر القياس بناء على العلاقات القائمة بين الألفاظ ومعانيها؛ فالأصل أن يحمل اللفظ على الحقيقة دون المجاز، وعلى

---

[١] ٧١/٢

[٢] الكشف لمكي ٨٨/٨٧/٢والبحر المحيط ١٠١/٥وحجة القراءات لأبي زرعة ٣٢٤

الترتيب دون التقديم والتأخير، إلا أن يدل دليل على خلاف ذلك.، ومقتضى مذهب فريق من علماء العربية المنع من القياس عليه، وإن كان وجه تأويله مما يسعه القياس، وذهب بعضهم إلى أنه من باب ما يقاس عليه.

الفصل الثالث

أثر الدرس النحوي في الوقف على التاء عند القراء

تاء التأنيث مما اختلفت فيه لغات العرب، واختلفت المصاحف العثمانية في رسم مواضعها بما يوافق تلك اللغات، وجاءت القراءات القرآنية متباينة في اتباع الرسم في تاء التأنيث عند الوقف عليها وموافقة الشائع المشهور من لغات العرب)[1]، وقد انقسمت هاءَ التأنيثِ في المصحفِ الكريمِ إلى ما رُسِمَ بالهاءِ، وهو الـمُسمَّى بالتاءِ المربوطةِ، وإلى ما رُسِمَ بالتاءِ، وهو الـمُسَمَّى بالتاءِ المجرورةِ، فأمَّا ما رُسِمَ بالهاءِ، فإنَّ الوقفَ عليها بالهاءِ، ممَّا اتَّفَقَ عليه القُرَّاءُ، وهو الـمُوَافِقُ لقاعدةِ الكتابةِ العربيَّةِ، وأمَّا ما رُسِمَ بالتاءِ فإنَّه ممَّا اخْتُلِفَ في الوقفِ عليهَ، فابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو والكِسَائِيُّ يَقِفُونَ بالهاءِ، كسائرِ الهاءاتِ الداخلةِ على الأسماءِ، من نحوِ فاطمةَ وقائمةٍ؛ إجراءً لهاء التأنيثِ على سَنَنٍ واحدٍ، وهي لغةُ قريشٍ، والباقونَ يقفونُ بالتاءِ تغليبًا لجانبِ الرسمِ، وهي لغةُ طيِّئٍ، فلا بدَّ للقارئِ مِن مَعْرفةِ ما رُسِمَ بالتاءِ والهاءِ؛ لتَحَرِّي في جميعِهما بالصوابِ في الأداءِ)[2]

وقد تكفل علماء توجيه القراءات ببيان الكلمات التي رسمت في المصاحف بالتاء، وبيان الكلمات التي رسمت بالهاء، ولكن هل هناك من أثر للدرس النحوي من مراعاة الاشتقاق والقياس واختلاف اللهجات في

---

[1]) ينظر الوقف على تاء تأنيث الاسم بين اللغة والرواية وخط المصاحف العثمانية د/ محمد بن شرعي أبو زيد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد العاشر ص٤٧.

[2]) المنح الفكرية للملا عليٍّ بنُ سلطان محمّد القاري الهرويٌّ ت:١٠١٤هـ ص:١/٧٤

الوقف على التاء، بما يدل على أن القراء كانوا يختارون وقوفهم على التاء على هدى تصورهم لمقاييس العربية ؟

بداية يحسن بنا أن أذكر أن الأصل أن يثبت القارئ في لفظه من حروف الكلمة إذا وقف عليها ما يوافق خط المصحف ولا يخالفه إلا إذا وردت رواية عن أحد من الأئمة تخالف ذلك؛ فيتبع الرواية وذكر الحافظ- رحمه الله- أن الرواية تثبت عن نافع وأبى عمرو والكوفيين باتباع المرسوم في الوقف وأنه لم يرد في ذلك شيء عن ابن كثير وابن عامر، فقد يكون الوقف إما لاختبار معرفة القارئ كيف يقف على هذه الكلمات، وإما لإرشاده إلى صحة الوقف عليها عند طروّ طارئ من ضيق نفس أو نسيان أو نحو ذلك، وارتضى شيوخ الإقراء واستحسنوا اتباع خط المصحف بالنسبة لابن كثير وابن عامر وإن لم يرد عنهم رواية بذلك)[1]، وقد جاءت الروايات باتّباع رسم المصحف الذي كتبه الصحابة -رضي الله عنهم- في الوقف على أواخر كلم ليست محلّ وقف، وإنّما يوقف عليها للضرورة أو سؤال مختبر يريد أن يعلم ما عند المسئول فيه. [2]

ويطلق المازني: "مصطلح هاء التأنيث بدلاً من تاء التأنيث، باعتبار ما تؤول إليه التاء في الوقف من إبدالها هاء. وذلك أن الوصل من المواضع التي تجري فيها الأشياء على أصولها، أما الوقف فمن مواضع التغيير والبدل، وإنما هاء التأنيث في الوصل أصلها التاء، وأن الهاء في

---

[1]) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع -تأليف الشيخ : عبد الفتاح القاضي ص١٢٤ ط الأزهر ١٤٢٤هـ.

[2]) الكنز في القراءات العشر ٣٥٣/١

الوقف بدل من التاء في الوصل[١] فإذا وقفت بالهاء احتججت بأنك مريد للسكت، وإذا وقفت بالتاء احتججت بأنك مريد للوصل ثم إنهم اخْتَلَفُوا في التَّاءِ المَوْجُودةِ في الوَصْلِ والهاءِ المَوْجودةِ في الوقْفِ؛ أيَّتُهمَا الأصلُ للأُخْرى[٢]؟

من هذا المنطلق يظهر أنه لم يثبت في كل وقف رِواية وإنما هناك منهج للقراء غير الرواية منها اتباع مرسوم الخط وأنهم كانوا يختارون قراءاتهم فيما لا رواية فيه وفق ما استقر عندهم من مقاييس العربية، ولا أدل على ذلك مما ذكره الأنباري في الوقف على «ملكوت والطاغوت والتابوت» إذ قال: والوقف على «ملكوت والطاغوت والتابوت» بالتاء لا يجوز إلا ذلك فيما ذكر الفراء.[٣]، وكان حمزة يسكت على ستة أحرف بالتاء، على: {يا أبت} [يوسف: ٤] و {هيهات هيهات} [المؤمنون: ٣٦]، {فنادوا ولات حين مناص} [ص: ٣] {أفرأيتم اللات والعزى} [النجم: ١٩]، {ومريم ابنت عمران} [التحريم: ١٢] {ابتغاء مرضات الله} [البقرة ٢٦٥)

وكره أن يقف على: (ولات). وكان الكسائي ربما الوقف عليه بالتاء.

---

١) المنصف : . : ١-١٥٩ /١٦١

٢) فذهبَ سيبويه، وجماعةٌ بجريَانِ الإعرابِ عليهَا دونَ الهاءِ، وبأنَّ الوصْلَ هو الأصلُ، والوقفُ عارِضٌ. قالوا: إنَّما أُبدِلَتْ هاءً في الوقفِ فَرْقًا بينَها وبينَ تاءِ التَّأنيثِ في عِفْرِيتٍ، ومَلَكُوتٍ. وقال ابنُ كَيْسَانَ: بل فرقًا بينها وبيْنَ تاءِ التَّأنيثِ اللاَّحقَةِ للفعلِ. نحو: خرجْتُ، وضربْتُ. وذهبَ آخرونَ إلى أنَّ الهاءَ هي الأصْلُ، ولهذا سُمِّيَتْ هاءَ التَّأنيثِ لا تاءَ التَّأنيثِ. وإنَّما جَعَلوها تاءً في الوَصْلِ؛ لأنَّها حينئذٍ تَتَعاقبُهَا الحركاتُ.. والهاءُ ضعيفةٌ تشبِهُ حروفَ العلَّةِ بخَفَائِهَا. فَقَلَبُوها إلى حَرْفٍ يُناسِبُهَا، مع كَوْنِهِ أقْوَى منهَا، وهُوَ التَّاءُ.

٣) إيضاح الوقف والابتداء للأنباري ٣٠٢/١

وروى ابن الجهم عن الفراء عن الكسائي أنه كان يقف على (ولات) «ولاه». وكذلك: (أفرأيتم اللات والعزى) كان يقف عليه «اللاه» بالهاء قال خلف: ووصل (ولات حين) أحب إلى لأنه بلغني عن أبي عمرو أنه كره الوقف على (ولات). قال خلف: والوقف على (مرضاة) بالهاء، والبقية بالتاء مثل قول حمزة (يا أبت) و (هيهات هيهات) و (اللات) و (مريم ابنت عمران). فأما (يا أبت) فالوقف عليه بالتاء في جميع القرآن مثل قول حمزة إذا انكسرت التاء لأن بعدها ياء الإضافة محذوفة.

وقال الفراء: الوقف على: (ولات حين مناص)، (أفرأيتم اللات) و {حدائق ذات بهجة} [النمل: ٦٠] بالتاء أحب إلى من الهاء. قال: وقد رأيت الكسائي سأل أبا فقعس الأسدي فقال: «ذاه» لـــ (ذات). وقال: «أفرأيتم اللاه» ل (اللات). وقال: (ولات حين مناص) ليس تحين فرار. والنوص التأخر في كلام العرب والبوص.[١]

من هذا النص يَظهر أن اختلاف القراء في الأداء اختلافٌ بينٌ، فبعضهم يقضي بوجوب الوقف بالتاء وبعضهم يجيز الوقف بالهاء، ومذهب الكسائي (السكت) على كلمات مخصوصة منها، وبعضهم كره الوقوف عليها كأبي عمرو وذهب الفراء إلى أن الوقف بالهاء في نحو (لات) أحب إليه،: وسؤال الكسائي لأبي فقعس الأسدي عن ذات فلو كان لديه رواية لا يكون هناك معنى لسؤاله،كل هذه الأحكام النسبية تدل دلالة واضحة المعالم أنه لو ثبتت الرواية لم ينشأ هذا التنوع والاختلاف بما يبرز أثر الدرس النحوي في الوقف على بعض الكلمات، ومما يؤكد هذا وهو من أنفس ما وقفت عليه في هذا الباب نص لمكي في التبصرة إذ

[١]) إيضاح الوقف والابتداء للأنباري ٢٨٨/١

قال:" فجميع ما ذكرنا في هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام: قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص في الكتب موجود، وقسم قرأت به وأخذته لفظا أو سماعا وهو غير موجود في الكتب، **وقسم لم أقرأ به ولا وجدته في الكتب ولكن قسته على ما قرأت به**، إذ لا يمكن فيه إلا ذاك عند عدم الرواية في النقل والنص وهو الأقل، وقد نبهت على كثير منه في مواضع قد مضت "(١)

فمن ذلك ما سبقت الإشارة إليه في الوقف على كل ما سبق مما يغنينا عن الإعادة هنا فمثلا (هيهات) التي وردت فيها قراءات متعددة متواترة وشاذة، ذهب بعضهم إلى أن هَذِه التَّاء نظِيرةُ التَّاء فِي الفِعْل نَحْو ذهبَتْ وجلسَتْ ورَأَيْت زيدا ثُمَّتَ عَمْراً فَهَؤُلَاءِ الأحرُف بِمَنْزِلَة تَاء الأفْعال لِأَن التَّاء فِي الموضعَيْن دخَلَتْ على مَا لَا يُعْرَف ولَا هُوَ من طَرِيق الأسماءِ فَإِن قَالَ قائلٌ نجعَلُها بمنْزِل كَانَ من الْأَمر ذَيْتَ وذَيْتَ قيل فَهَذِهِ هاءٌ فِي الوَقْف قَالَ الفارسيُّ: لَيْسَ للعِرْفان والجهالةِ فِي قَلب هَذِه التاءِ هَاء فِي الوَقْف ولَا لَترْكها تاءً مَذهَبٌ، ولَكِن يَدلْ على أَن الوَقْف على هَذَا يَنْبَغِي أَن يكون بِالتَّاءِ أَنَّه لَا خِلافَ فِي أَن الوقْفَ على الفِعْل بالتاءَ فَإِذا كَانَ الوقْف فِي الَّتِي فِي الفِعْل بالتاءِ ووَقعتِ المُنازَعَةُ فِي الحَرْف وجبَ أَن يُنْظر فيُلحقَ بالقبِيل الَّذِي هُوَ أَشْبَهُ بِهِ، فالحَرْف بالفِعْل أشبَهُ مِنْهُ بالاسم من حيْثُ كَانَ الفِعْل ثانِيًا وَالاسْم أوَّلًا، فالحَرْف بِهَذَا الثَّانِي أشبَهُ مِنْهُ بالأصْل، وَأَيْضًا فالإبْدال فِي هَذَا الحَرْف ضَرْب من الاتِّساع والتَصرُّفِ فِي الكَلِمة فَإِذا كَانَ ذَلِك قد مُنعه الَّذِي هُوَ أكثَرُ تَصرُّفاً من الحرْف وأشبَهُ بالأوَّلِ مِنْهُ فَأن

١) التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور المقرئ : محمد غوث الندوي ص٧٣٦ نشر وتوزيع الدار السلفية.

يُمْنَعَهُ الحرْفُ الَّذِي لَا تَصَرُّف لَهُ وَالَّذِي يَقِلُّ اعتِقابُ التغيير عَلَيْهِ أجْدَرُ فَإِذا كانتْ هَذِه التاءُ فِي بعضِ اللُّغات تُتْرَك تَاء فِي الأسماءِ كَمَا حَكَاهُ سِيبَوَيْهٍ عَن أبي الخَطَّاب وكما أنْشدهُ أَبُو الْحسن من قَوْله:

(بَلْ جَوْزِ تَيْهاءَ كظَهْر الحَجَفَتْ) [1]

فأنْ تُتْرك تَاء فِي الحْرف ولَا تُقْلَبَ أجْدَرُ، فَبِهَذَا يُرَجَّح هَذَا القَوْلَ على قَول الكِسائِيّ فِي القِياس [2]

ومن أثر الاشتقاق والدرس الصرفي في الوقف ما ذكره ابن جني في (التابوت): إذ قال: "التابوت" بالتاء قراءة الناس جميعًا، ولغة للأنصار "التابوه" بالها، أما ظاهر الأمر فأن يكون هذان الحرفان من أصلين؛ أحدهما: تَ بَ ت، والآخر: ت ب هـ، ثم من بعد هذا فالقول أن الهاء في "التابوه" بدل من التاء في "التابوت"، وجاز ذلك لما أذكره: وهو أن كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس، ومن حروف الزيادة في غير هذا الموضع، وأيضًا فقد أبدلوا الهاء من التاء التي للتأنيث في الوقف، فقالوا: حمزهْ، وطلحهْ، وقائمهْ، وجالسهْ، وذلك منقاد مطرد في هذه التاء عند الوقف، ويؤكد هذا أن عامة عُقيل فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها تقول في الفرات: الفراه، بالهاء في الوصل والوقف، وزاد في الأُنس بذلك أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة، فلما وقف وقد أشبه الآخِرُ الآخِرَ أبدل التاء هاء، ثم جرى على ذلك في الوصل؛ لأنه لم يكن

---

[1] الرجز لسؤر الذئب في لسان العرب ٩/ ٣٩ (حجف ؛ ولبعض الطائيين في شرح شواهد الإيضاح ص ٣٨٦.

[2] ينظر : المخصص لابن سيده ٨١/٥

البدل عن استحكام العلة علة، فيُراعى حال الوقف من حال الوصل ويفصل بينهما[١]

وقال الزمخشري: لا يخلو من أن يكون فعلوتًا أو فاعولًا، فلا يكون فاعولًا لقلته، نحو: سلس وقلق، ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه، فهو إذاً «فعلوت» من التوب، وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه، فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته. وأمّا من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده، إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء، لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة. ولذلك أبدلت من تاء التأنيث[٢]

قال ابن مالك في الكافية الشافية:

وقف بجعل التاء هاء قد ذكر ... والنطق بالتابوت تابوها شهر .[٣]

وفي قوله تعالى "حَصِرَتْ صُدُورُهُم" [الآية: ٩٠] فيعقوب بنصب التاء منونة على الحال بوزن تبعة وافقه الحسن، والوقف عليه بالهاء، وذلك على أصله والباقون بسكون التاء فعلا ماضيا على أصله في الوقف بالهاء فيما رسم بالتاء وافقه الحسن "ورقق" راءها الأزرق وأدغم التاء في الصاد أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأظهرها الباقون، وعن الحسن فلقتلوكم [٤]

---

[١] المحتسب لابن جني ١/١٣٠

[٢] الكشاف للزمخشري ١/٢٩٣

[٣] شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/٢١٦٠

[٤] إتحاف فضلاء البشر ١/٢٤٤

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا رسول الله،وبعد:

فلقد عشت حولًا كاملًا مع أثر حركة التاء في العربية تأكّدت لي خلالها عبقرية الخليل – رحمه الله – إذ كان ذا بصيرة نافذة حين صرح بأن لحروف الهجاء دلالة معنوية وأن من دلالة التاء البقرة التي تحلب كما قال المهلهل:

أبي فارس الهيجاء في كل حومة وجَدُّك عبْدٌ يحلب التاء دائما[١]

ومَن يتأمل حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، يجد فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف والرقة، ما يملك علي صاحبه جوانب فكره، وإن العودة إلى حركة التاء وأثرها في المعاني والمباني ابتداء أو وسطا أو آخرا بمقدار ما تكشف لنا عن جذور معانيها في الطبيعة والحس والنفس والمشاعر، فإنها تكشف بالتبعية عن البنية العقلية والنزعة الروحية والملكة الفنية في الإنسان العربي الذي أبدعها تعبيراً عن حاجاته ومفاهيمه وحالاته وأحواله سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد[٢] . فالمتكلم بعد أن يختار الحروف التي تتوافق أصواتها مع الحدث الذي يريد التعبير عنه، يقوم بترتيبها في اللفظة على أساس أن يقدم الحرف الذي يضاهي أول الحدث، ويضع في وسطها ما يضاهي وسطه، ويؤخر ما

---

١) الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي من ضمن ثلاثة كتب في الحروف ص٣٤ – تحقيق د/ رمضان عبد التواب ط١١٤٠٢هـ–مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢) هذا المعنى كثيرا مانبه عليه ابن جني في الخصائص، وحسن عباس في كتابه :خصائص الحروف العربية ومعانيها .

يضاهي نهايته وقد حملت التاء مع تنوع حركتها من ذلك ما يشبه السحر وقد جاءت حركة التاء ترجمة صادقة عن ذلك إذ كشفت عما يلي:

١) يعد أصل الوضع المنطلِق من الأصل المعجمي ثابتا من ثوابت التحليل اللغوى ترد إليه أنواع الكلمات والتراكيب المختلفة وتستأنس به شواردها وأوابدها دون إغفال لاستصحاب الأصل التاريخي كلما لزم الأمر ،وجلّ مسائل الخلاف التي بنيت في جانب كبير منها على أثر اختلاف حركة التاء تبرز هذا وتدعمه.

٢) لتغيُّر حركة التاء أثر في تصور الكلمة من حيث العمل والمعنى واللهجات والقراءات القرآنية فيها والحكم عليها إفرادا أو جمعا، منعا أو صرفا، وقفا أو وصلا، وتشكل اختلاف حركة التاء دلالات عَمَد النحاة وعلماء التوجيه إلى تفسيرها، كما مثَّل التناوب ميدانا فسيحا لظواهر لغوية متعددة منها الحمل على المعنى الذي يعد في حقيقته وسيلة من وسائل تقريب الخارج على القاعدة إلى القياس، مع التنوع والثراء المعنوي والدلالي من تخصيص المعنى وإطلاقه أو تقييده إضافة إلى اختلاف الأوجه الإعرابية .

٣) كشف البحث عن جانب كبير من منهج النحاة في توجيه حركة التاء مع ما خالف القياس وكيف عللوا لذلك مستندين على ظواهر لغوية تقرب ما خرج على القياس إلى القياس بوجه من الوجوه مثل التشبيه والحمل على المعنى و التوهم وتركب اللغات واختلاف اللهجات والتعويل على قصد المتكلم.

٤) كشف البحث عن مساحة الاختيار للقراء في الوقف علـــى التاء وهم بالنحو واللغة خبراء كالكسائي وأبي عمرو بن العلاء، من

هذا المنطلق تبين لي أنه لم يثبت في كل وقف رِواية وإنما هنـــاك منهج للقراء في الوقف كاتباع مرسوم الخط وأنهم كانوا يختـــارون قراءاتهم فيما لا رواية فيه وفق ما استقر عندهم من مقاييس العربية من اشتقاق أو اختلاف لهجات وهذاما أكده لـــي شـــيوخ الإقـــراء المسندين .

٥) أن وصل اختلاف حركة التاء في الوقف عليها في نحو يا أبت ولات وهيهات وهيت والتابوت وغيرها باللهجات هوالمنهج الأمثل وقد حرص البحث على نسبة كل لهجة إلى أصحابها، وأن الفكر القياسي الذي انتهجه بعض اللغويين والنحاة القدامى لم يصل إلى المطلوب في تفسير القراءات إذ كان مقتضى القياس أن يقولوا في المؤنث في نحو أخت في الوقف: " أخته "، بهاء في الوقف، فلو فعلوا ذلك لكانت تلك التاء حرف إعراب في الإضافة والإفراد، ولم يمكنهم أن يعيدوا المحذوف في الإضافة تتميماً للفظ فيخالف لفظه لفظ المذكر.

أهم المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تأليف العلامة الشيخ : أحمد بن محمد البنا، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

٢. الأصول – دراسة إبيستيمولوجية للفكر اللغوى عند العرب. د/ تمام حسان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٢م.

٣. أصول التفكير النحوى. د/ على أبو المكارم – دار غريب – القاهرة ٢٠٠٧م

٤. إعراب القراءات الشواذ للعكبرى توفى ٦١٦ هـ تحقيق د/ محمد سيد عزوز – عالم الكتب – بيروت – ط ١ ١٩٩٦.

٥. إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس – تحقيق د/ زهير غازى زاهد – عالم الكتب – بيروت – ط ١٩٨٥م.

٦. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه – مكتبة المتنبى – بالقاهرة.

٧. إيضاح الوقف والابتداء:لمحمد بن القاسم، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م

٨. الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق موسى بناي العليلي، ط١، مطبعة العاني بغداد.

٩. البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى الغرناطى ت/ ٧٤٥ هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط٢ ١٩٨٣ م .

١٠. التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب تحقيق الدكتورالمقرئ:

محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية .

١١. التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب تحقيق الدكتورالمقرئ : محمد غوث الندوي ص٧٣٦ نشر وتوزيع الدار السلفية.

١٢. التبصرة والتذكرة للصيمرى تحقيق فتحى أحمد مصطفى – جامعة أم القرى – مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى. ١٩٨٢ م.

١٣. التكملة،لأبي علي الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد،(ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، تحقيق كاظم بحر المرجان المرجان، ط١، المكتبة الوطنية، بغداد.

١٤. الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى تحقيق د/ فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ــ المكتبه العربية بحلب ١٩٧٣ م

١٥. حجة القرآت لأبى زرعه عبد الرحمن بن زنجلة تحقيق أ/ سعيد الأفغاني ــ مؤسسة الرسالة بيروت ــ ط٥ ١٩٩٧ م .

١٦. الحجة في القرءات السبعة لابن خالويه توفى ٣٧٠ هـ تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة بيروت ط٥ ١٩٩٠ م

١٧. الحجه فى علل القرآت السبع لأبى على الفارسى تحقيق بدر الدين قهوجى وآخرين دارالمأمون بدمش ط٢ ١٤٠٤هـ

١٨. الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي من ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تحقيق د/ رمضان عبد التواب ط١١٤٠٢هـ–مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٩. الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار ــ الهيئه المصرية العامة للكتاب ط٤ ١٩٩٦ م

٢٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق عدد الأجزاء: ١١

٢١. دراسات لأسلوب القرآن الكريم تأليف الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٢هـ

٢٢. رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى تحقيق / أحمد الخراط، دمشق ١٣٩٥هـ

٢٣. شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوى المختون، دار هجر للطباعة بالقاهرة ١٤١٠ م

٢٤. شرح الرضى على الكافية تحقيق د/ يوسف على عمر، منشورات جامعة بنى غازى، مطابع الشروق، بيروت ١٣٩٣ هـ

٢٥. شرح المفصل، لابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، عالم الكتب، بيروت.

٢٦. غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب ل / مصطفى رمزي الأنطاكي .

٢٧. القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث ص: ١٠٧، د/عبدالغفار حامد هلال

٢٨. الكتاب، لسيبويه – تحقيق / عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي– مصر ط٣ –١٤٠٨ه– ١٩٨٨م.

٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤

٣٠. لات" في العربية: حقيقتها والخلاف حولها بين القدماء والمحدثين لمنصور الكفاوين دراسة لغوية مقارنة" المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها،، المجلد (٧)(العدد (٤ (ذو القعدة ١٤٣٢هـ / تشرين أول ٢٠١١م

٣١. اللّباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، أبو البقاء عبد الله بن

الحسين،، (ت٦١٦هـ/١٢١٩م تحقيق غازي طليمات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥ .،ج١، ص١٧٩

٣٢. المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى، تحقيق د/ على النجدى ناصف، د/ عبد الحليم النجار، د/ عبدالفتاح شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه بمصر ١٣٨٦ هـ .

٣٣. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ط١ ١٩٦٨ م.

٣٤. مختصر ابن خالويه فى شواذ القراءات، عنى بنشره / ج. برجستراسر، دار الهجرة، مصر.

٣٥. المخصص لابن سيده، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

٣٦. مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)المحقق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٥.

٣٧. معانى القرآن للفراء، تحقيق / احمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٣، ٢٠٠١ م.

٣٨. معانى القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق د/ عبد الجليل شلبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٧٣ م

٣٩. المقتضب للمبرد، تحقيق الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤ م.